الكتاب والموضوعات

العلوم
والبحوث الاجتماعية

لغة العلوم

-٨-

تختتم (المعرفة) بهذه الحلقة التحقيق في موضوع اللغة العربية وتدريس العلوم الجامعية، إذ تنشر جواب الاستاذ فؤاد الشايب على الأسئلة التي وجهها اليه المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي في الرباط التابع لجامعة الدول العربية [١]، ورأي الطبيب الدكتور منذر الدقاق رئيس شعبة الأمراض الداخلية في مشفى دمشق وعضو المجمع الأمريكي لأمراض جهاز الهضم.

(١) تعيد (المعرفة) نشر هذه الاسئلة الواردة في العدد ٥٨ :

١ – ماهي في نظركم ام المشاكل التي تعترض سير اللغة العربية والتي تحد من انتشارها بسرعة في العالم.

٢ – اذا كانت هنالك مشاكل تعترض سير اللغة العربية فما هي انجع الحلول في نظركم؟

٣ – هل تصلح اللغة العربية للتدريس الجامعي؟

٤ – واذا كانت اللغة العربية صالحة للتدريس والبحث الجامعي، ماهي المشاكل التي تعترض الاساتذة وماهي الحلول في نظركم؟

٥ – المصطلح العلمي يشكل في نظر الكثيرين ام مشكلة تعترض نمو اللغة العربية فكيف للعالم العربي ان يتخلص من هذه المشكلة؟

السيد الأمين العام الاستاذ عبد العزيز عبد الله
الاستاذ محمد اديب السلاوي

الرباط — المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي

تحية وتقديراً

وبعد فانني اوجه الشكر الى القائمين على المكتب، لاهتمامهم بموضوع قومي ثقافي جليل، سبق ان عالجه الكتاب، والهيئات العلمية، وقامت مجلة (المعرفة) في دمشق، بآخر محاولة من هذا النوع، اشترك فيها عدد من الباحثين والجامعيين العرب، وربما لفت نظركم ذلك في اجزاء (المعرفة) الشهرية التي ترسل الى مكتبكم بانتظام.

وجوابي الشخصي عن اسئلتكم يمكنني ايجازه بما يلي: القسم الأول من الجواب عن السؤالين الأول والثاني:

تعترض سير اللغة العربية، وتحد من انتشارها في العالم، ثلاثة حوائل، يؤلف كل منها قضية قائمة بذاتها، ومترابط بعضها ببعض، في الوقت نفسه.

أولاً ـ الحرف العربي

ان رسم الحرف العربي وان يكن يؤلف حائلا جدياً، دون بلوغ اللغة العربية مستوياتها العالمية، وجماهيرها الواسعة، فان قضيته ليست بالمعضلة التي يمكن ان نجد لها حلولاً سريعة تافهة كأن نعدل عن الحرف العربي، الى الحرف اللاتيني، كما فعلت (تركية اتاتورك)، او كما يقترح بعض المتحذلقة العرب، ممن يظنون انهم قد وجدوا الثغرة من جانب الحرف، للعبث بالتراث العربي، بدءاً من الألف حتى الياء. والترك ولسواهم أن (يلتنوا) حروفهم، فهم ليسوا شيئاً من تراثنا وليس من يسألهم عنه. وقد دخلوا ديار العروبة عن طريق (العثمانية) في غارة على امة ودولة... ولم يخرجوا الا على انقاضها..

وقد كتب كثيرون في استحالة (تلتين) الحرف العربي من جهة، وعدم جدواه من جهة ثانية، بقطع النظر عن القضية القومية بالذات. ولست انوي هنا ان اكرر ما قيل. وحسبي القول أن الدعوة اللاتينية، هي تزوير لطرح القضية. وقد بادت الدعوة، كما باد سواها من الدعوات الشعوبية والاستعمارية المعادية لحقيقة الوجود العربي.

ثانياً ـ سلطان الدولة

ان القيمة السياسية لسلطان الدولة، قضية قومية عربية تعكس ظلالها على واقعنا الثقافي. ومنذ اقدم الازمنة، اقترنت امجاد اللغات بامجاد دولها. وانطفأت لغات ولهجات بانطفاء الجماعات التي قامت عليها ونطقت بها. ونحن

ادرى الاقوام كيف دانت للغتنا العربية شعوب الروم والفرس، فكتب فحولهم بالعربية وخلدوا بها في تاريخ الفكر العربي، في ظلال مجد الدولة وقوة السلطان. واليوم لايخفى على احـــد كيف انتشرت الفرنسية والانكليزية بين الملايين في افريقيا وآسيا، واللغة الروسية بين الملايين في اوروبة الوسطى والشرقية.

وعندما تكون اللغة العربية لغة الدولة العربية الكبرى ذات مئة المليون — نستطيع أن نتصور الكثير والقليل عن مدى ازدهـــار اللغة وراء سيادة الدولة — وعالميتها.

ثالثاً — المستوى الثقافي —

تؤلف قضية المستوى الثقافي في مجتمعنا العربي، مشكلة أساسية، أقل القول فيها أنها هي التي تقرر مسيرة اللغة، ومصيرها معاً. فالمجتمعات التي لا يؤلف فيها جمهورها وعياً ثقافياً معيناً، تتضاءل فيها الحاجة الى لغة غنية معاصرة لحاجات الانسان، وينحدر فيها الانتاج الفكري الى مستوى التفاهات، ويُساوَم عليه مع خسيس البضاعات. وفي هذه المجتمعات لا كرامة لمفكر، ولا رزق ايضاً. وتنعدم الحاجة الى اللغة، بانعدام الحافز إلى التقدم، والحاجة الى المعاصرة. فاللغة الضامرة في عقر دارها، هي قرينة الفكر الضامر في أطماره. وطبيعي أن اللغة التي لاتبارح دائرتها الصغيرة، لاتستطيع أن تخطو في العالم الخارجي، خطوات كثيرة او قليلة.

ان معضلة اللغة في هذه المجتمعات لايمكن ان تطرح منفصلة عن مادتها الغذائية. فاللغة لسان الحياة والحاجة ورباط بينها معاً. فاذا كانت الحياة تافهة والحاجة مقصورة على البدائيات، انعدم الشعور بضرورة تعزيز الرباط بين الحياة والمجتمع. وتصبح عشرات الكلمات كافية للتداول بديلاً عن الالوف.

كذلك ، ففي معالجة مشكلات هذا المستوى الثقافي المتدني ، لايطرح السؤال : هل اللغة العربية ، متخلفة عن الركب العصري . بل هذا السؤال : هل أهل اللغـــة أنفسهم هم المتخلفون . فالمعضلة ، وحلولها ليست في اللغة بل في القوم الذين يتداولونها . انما قضية (اجتماعية ثقافية) في المقام الأول.ويجب ان نعالجها ليس على اساس انها تركيب حروف ، بل تكييف شروط اجتماعية انسانية ، في مكان ما ، وزمان ما .

وعلى هذا فان معالجة مشكلة اللغة العربية ،ليست بالحصر معالجة اكاديمية ، ينصرف اليها العلماء والاختصاصيون ، ونلحتو الألفاظ ، وناجرو أشكال الحروف ، وان تكن الاكادمية هنا عملية تقنية ، لابد منها في مرحلة الصياغة والتنظيم ، والتنسيق .

فاذا قلنا مثلا أن انفتاح الحياة الاجتماعية على حاجات العصر ،وفروض التقدم وتيارات الفكر العالمي ،وان تشجيع الروح العلمية ،وتكريم اهل العلم ،وتيسير نشر الثقافة العامة ، من اسباب اعداد المجتمع وتأهيله لتداول لغة غنية متوسعة ، نقول أيضاً أن البدء من القاعدة في مكافحة الأمية — على مستوى القراءة،وعلى مستوى التفكير أيضاً — سبب رئيسي ايضاً من اسباب تكوين الوعي الاجتماعي الثقافي الذي يستطيع ان يحتضن العلماء والمثقفين ، وينهض بهم ، ويحتمل على صعيده وجودهم .. ليعيشوا قادة معه ، لا عالة عليه .

فالقضية هنا حلقات مترابطة من تعليم الأمي ، الى تجهيز العالم الاكاديمي ، الى فتح قابلية الجماهير لبذور الوعي الثقافي ، ولرفض شروط الحياة المتخلفة .

أما جوابي عن الأسئلة الثلاثة الأخيرة فخلاصته فيما يلي :

يبدو أن لاخلاف بين الباحثين المعنيين بالموضوع — وقد استفتت مجلة

(المعرفة) في دمشق عدداً منهم – حول حقيقتين اساسيتين ، تتفرع عنهما تفاصيل كثيرة :

الأولى ان اللغة العربية صالحة للتدريس العلمي الجامعي ، ويجب أن تستمر العناية بها لتصبح أكثر صلاحاً في المستقبل .

والثانية ان لاغنى المتعلمين وطالبي المزيد من العلم ، عن التثقف بلغة عالمية أساسية يتابعون بها ثقافتهم التي تؤهلهم لمعاصرة كل مستطرف مستحدث . وليس ذلك من أجل إغناء ثقافتهم مسلكياً وفكرياً فحسب ، بل من أجل دفع اللغة العربية عن طريق أهلها من العلماء ، لتسير أبداً على الخط الموازي للتقدم العلمي في العالم .

ففي مدى الحقيقة الأولى لانكران ان اللغة العربية التي استوعبت في عصرها الذهبي علوم الاولين والآخرين ، غير عاجزة عن مثل هذا في عصرها الراهن ، مااستطاع اهلها الى ذلك سبيلا ، ولاخوف عليها من الانفتاح الكبير ولا خطر ، الا من طرفي التحذلق والتزمت على السواء .

وان هي صلحت الآن ، للتدريس العلمي ، واستيعاب العلوم الانسانية المختلفة ، فيجب أن يستمر هذا الصلاح بجهود عربي مشترك تنهض له مؤسسات علمية وعلماء ، وادباء ورجال تفرّغ واختصاص، في مواضيع العلوم المادية الاكثر امتناعاً على اللغة كعلوم الطب والهندسة والكيمياء وسواها .

فلايكفي ان تكون كلية الطب في دمشق – مثلا – قد عمدت الى تدريس الطب بالعربية منذ اربعين عاماً . اذ يجب ان تتفاهم الجامعات العربية اينما كانت وتتعاون فيما بينها ، على تنفيذ منهج مقرر في تدريس العلوم ، بلغة علمية لاتترك مصطلحاتها لاختيار الاذواق الخاصة ، والاقاليم المحلية ، والمجهودات الفردية ، بل ان تنهض لها مؤسسة عربية كبرى ، تشرف

على تنظيم اشتراك الجامعات العربية كلها في ايجاد المصطلـــح العلمي الملائم وفي استعماله معاً .

وقد وضع صيغة اقتراح بمـــاثل ــ منذ عام ١٩٥٤ ــ العلامة الاستاذ مصطفى الشهابي ، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، فطالب بتآزر مجمع اللغة العربية في القاهرة مع جامعة الدول العربية بالاضافة الى اسهام رهط من العلماء والادباء المتفرغين للمهمة الثقافية القومية ، فتألف من هذه الجهات تنظيم يشبه (لجنة عليا) ذات صلاحيات وطاقات مادية كافية ، تشرف على اخراج (معجم للمصطلحات العلمية) ، يطبع ويوزع بمساعدة الحكومات العربية وتهيأ له اسباب الانتشار الواسع ويتجدد بين الحين والحين ، بالاضافات والتعديلات ، شأنه شأن أي عمل انسكلوبيدي ، ويكون مرجعا يقتضي الالتزام بــه ، دون ان يغلق الباب امام نقده وتعديله .

وفي مدى الحقيقة الثانية ثمة اجماع اتفاقي على ضرورة إعداد الطالب العربي في مرحلتي التدريس الاعدادية ، والجامعية ، اعداداً لائقاً لتلقي العلوم باحدى اللغات العالمية الانتشار . وان هذا الاعداد الثقافي للطالب العربي، يجب ان يتوازى مع خط تدريس العلوم باللغة العربية ، ليتبادل الخطـــان باستمرار شرارات الاشتعال ، حتى يأتي اليوم الذي تصبح فيه اللغة العربية ، لغة علميـة واسعة لاتنازع في صلاحها ، تستطيع أن تأخذ ، كما تستطيع ان تعطي . انما يجيء هذا الامر بالتدرج ، وبالتطور الذي ينمي اللغة ، وينمي طاقات المجتمع المتخلف معاً .. ولا فصل ابداً بين اللغة والمجتمع في محاولات العلماء والمصلحين ، ساسة وقادة ومفكرين ، ورجال علم .

وأما ملاحظاتي الخاصة حول ماأوجزت من آراء الباحثين . فجماعها :/

أولاً : يجب الشروع على الفور ، بانشاء مجلات علمية اختصاصية ، باللغة العربية ، تدعم (الكتاب الجامعي) ، و (معجم المصطلحات) ايضاً وتجعل معاصرة العلم ، شأناً يومياً من شؤون الكثرة من المتعلمين . ولعل هذه الهيئة العليا المنوط بها أمر اللغة العلمية — لجنة ام مجلس — تصلح أن تقوم بنفسها ، اوتوصي الحكومات لاصدار هذه المجلات العلمية ، الميسرة امام جمهور المثقفين والمتعلمين بادنى الأسعار . إن الأفراد والهيئات الخاصة كما هو معلوم لدينا عاجزون عن القيام بمثل هذه الأعمال النشرية ، ذات التكاليف الكبيرة ، والجمهور المحدود ، وسهم الدولة العربية في هذا المشروع سهم رئيسي كلـيّ .

ثانيا — يجب ان تكثر وتتعدد في نطاق الوطن العربي والمهاجر ، والأوطان الآسيوية الافريقية التي تعنى باللغة العربية وتحتفي بها ، مكاتب الجامعة العربية لتنسيق التعريب . أو مراسلون في بعض الامكنة يحلون محل المكاتب . على ان يكون التواصل بين هذه المكاتب ، مستمراً وفعالاً ، بالمراسلة أو بطريق عقد المؤتمرات وايفاد الوفود هيئات وافراداً حتى تصبح هذه المكاتب ، وسائل فعالة لنقل تيارات التعريب والتنسيق الى الجهاز الأعلى المركزي ، المفروض انه هو الذي يعد العدة لوضع معجم المصطلحات . فاذا تواصل مكتب تنسيق في الرباط ، مع آخر في دكار ، وآخر في سان باولو ، وآخر في دمشق ، مثلاً للتفاهم حول وضع مصطلح ، وتم الاتفاق بأي سبب من اسباب تبادل الرأي ، كان من ذلك حصاد ثمين يوضع أمام اللجنة العليا الناظمة . واذا حصل خلاف رفع الأمر الى المرجع أياه ، ليتوافر عليه باحثون ورجال اختصاص ، للحكم المرجّح .

ثالثاً — يجب اشتراك الأدباء جنباً الى جنب مع العلماء وفقهاء اللغة ، وعلماء الاجتماع واصحاب الخبرات ، في تقرير المصطلح العلمي ، على نطاق الوحدات الصغيرة ، والوحدة الرئيسية العليا . اذ من المفروغ منه أن أدباء كل أمـة ،

قصاصين ، وشعراء ، ونقاداً ، وباحثين اجتماعين ، وصحافيين ، قد أسهموا اسهاماً رائعاً بوعي منهم ، أو بلا وعي ، وهم يمارسون تجاريبهم الفنية بلغة قومهم ، في تطوير اللغة ، وتيسيرها وتطعيمها ، ومنحها تلك الطواعية ، والعفوية ، والليونة في استعمال الالفاظ والمصطلحات . انما الاديب الحق ، من احب لغته وفهمها ، وجبل ترابها بتراب ذاته ، وابدع بها غاية مافي طاقة اللغة من إبداع . ولهذا يجب ان تكون آثار الادباء ، مراجع لدرس تطور اللغة واستعمال مصطلحاتها وتداولها .

رابعاً — واخيراً فلي كلمة انهيها بكثير من الصراحة لأقول ان المنظمات الرئيسية والفرعية ، على نطاق الحكومات ، والجامعة العربية ، ومكاتب التنسيق ، وسواها ، ومن يوكل اليهم شأن من شؤون اللغة افراداً وهيئات ، يجب ان تخلو من احد اثنين من حاشيتي القسم في معركة تطوير اللغة وهما : المتحذلق والمتزمت :

فالمتطرف بالثقافة ، المغرور بها ، الذي بلغ به العلم حد اقتلاع جذوره من مجتمعه وبيئته — واقل اوصافه انه متحذلق — قد يزعم ان العلم لغة انسانية عالمية ، لاوطن لها ولا ضرورة لاحاطتها باطار قومي ، لان العلم لاسرته الشاملة ، ولانسانيته المطلقة . واقل مانجابه به هذا الدعي المتحذلق ، هو التأكيد بأن تطور العلم ، وما احرزه من توسع وتعمق ، انما بلغ مابلغه بمشاركة جميع الاقوام ، قديمها وحديثها ، وبلغاتها نفسها . وكانت اللغة التي تعطي العلم ، تعطي لغتها معه . وقد اعطى العرب نجوماً تسبح في الافلاك اسماء لاتزال العالم حتى اليوم ينطق بها ، وسيظل ينطق الى الابد ، دون ضيرولاغضاضة .

أما من يجهل اويتجاهل لغة قومه ، ليتقن لغة اجنبية ، يتذرع بها في مايسميه

ولاءه لانسانية العلم ، ضد لغته وقومه ، فلا أقل من القول بأنه انسان ناقص العلم والانسانية معاً .

أما المترمت الذي يطيب له ان يسخر من العقل والعصر والناس ، ليزعم ان مامن مصطلح علمي ، الا واجداً لفظه المناسب بالعربية ، او انه بالاصل عربي قح .. لانه منقول عن كذا ، ومحرّف عن كذا ، هذا المترمت يجب ان يكون احد اثنين : إما جاهلا لايحق له الانتساب الى العلم وحسبه منه التقعر والدعوة والحمية الباطلة ، أو متواطئاً على حشر اللغة العربية في نطاق حديدي لاتتعداه الى العالم الخارجي إلا راسفة في اغلال ثقيلة قاتلة . والمبيت للغة شراً هومن اراد ان يفقرمضمونها اللغوي والثقافي ، لكي تموت موتاً تلقائياً بسوء التغذية . وأن تكن سياسته اللغوية مزاودة على المصلحين، فهو قائل حق يريد به باطلا .

حتى في أحسن حالات الظن به والاشفاق عليه ، فهو ليس اكثر من زوج مسكين يقتل زوجه حباً بها وغيرة عليها .

واخيراً لقد آن اوان العمل ، بعد ان تجمع حول المسألة رأي عام مثقف ، على نطاق عربي ، يطالب بانشاء مؤسسة عليا ، في مركزها وفروعها ، في مكاتبها ومراسليها ، لتنشيط حركة التعريب وتنسيقها ، وضبطها والتأليف فيها . وآن للدول العربية ان تدرك خطورة هذه الدعوة ، لتعزيز رابطة الروابط القومية فيما بينها ، وتأكيد عزمها على الخروج فعلا من نطاق المجتمعات المتخلفة .

الطبيب الدكتور منذر الدقاق

عندما نناقش مبدأ اختيار اللغة المفضلة في تدريس العلوم في بلادنا العربية فاننا نرغب ونسعى وراء ادراك كافة اوجه التطور العلمي العديدة التي تعم العالم والتي تعود علينا بالخير والمجد .

وفي هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من علاقات البشرية — وقد امتازت بسرعة التبادل العلمي واشتداد الاحتكاك الاجتماعي نتيجة تطور وسائل النقل في العالم — يجب ان لانتردد في الاعتراف بأن لغتنا العربية هي ابطأ من غيرها من اللغات العلميـــة العالمية في نقل اشكال هذا التطور العلمي في ارجاء المعمورة .

اللغة صلة الوصل في نشر العلم

لقد تعددت المؤتمرات العلمية في شتى الاختصاصات في السنين العشر الاخيرة وكانت اللغة الانكليزية في جل هذه المؤتمرات حلة الوصل الاولى بين مختلف العلماء من مختلف البلدان ويأتي بعدها الافرنسية ثم الاسبانية فالالمانية الخ .. من اللغات الحية .

وتبادل اشكال التطور بين مختلف شعوب الارض يتم بشكل سريع اذا ماجمعت لغة عالمية واحدة وسائل التعبير لدى رجال العلم واللغة العملية التي تسيطر على وسائل التعبير لدى العلماء في العالم هي الانكليزية في الوقت الحاضر .

لغة الانتاج العلمي

هذا هو واقع اساسي لايمكن تجاهله اوتناسيه فالذي يشترك في المؤتمرات العلمية العالمية يدرك تماما ان للغة الانكليزية النصيب الاوفر والاول في المناقشات العلمية كافة اساسية كانت ام فرعية .

واذا ما أردنا دراسة الانتاج العلمي باشكاله في العالم وجدنا ان جله يظهر بلغة انكليزية في كثير من البلدان المتعصبة لقوميتها وبلادها كالهند واليابان . والسبب في ذلك ان اللغة الانكليزية تسمح في عصرنا الحاضر بنشر وتعميم التطورات العلمية في ارجاء المعمورة كلها .

ان قوميتنا العربية تقضي علينا بالتطور السريع والتقدم الدائم وليس من واسطة علمية عملية تسمح لنابتحقيق هذه الامنية في العصر الحاضر ، اذ انه فضلا عن عدم وجود انتاج علمي اساسي في العلوم لدى العرب فان علماء العالم قل ان يدركوا التطورات العلمية لبلد ما ان لم يتوفر لهم التعرف اليها بواسطة المجلات العلمية العديدة ...

الكتب العلمية

وفي شتى العلوم ، وخاصة في الطب ، فإن طلب الكتب التي تطبع في اللغات الاقليمية المحلية قليل وهذا مايخفف من عدد الطبعات التي تحمل في تكرارها

أشكال التطور والتجدد على مر الزمن ولهذا تتباين الكتب العامية مع عجلة التطور وتبقى متخلفة عن اللحاق بالركب العالمي ... ومن المنطق ان لا تستطيع هذه الكتب العامية الصادرة بلغة أقليمية تجديد طبعها في كل عام لان استهلاكها محدود طالما ان عالمنا صغير فضلا عن ان اكثر هذه الكتب العامية (وعلى الأخص في بلادنا العربية) مترجمة ... طالما ان الابداع الشخصي في الانتاج العلمي محدود ..

الوجه الخاص لعالمنا العلمي ..

واذا احببنا ان نتجرد عن عواطفنا وان نواجه الواقع المؤلم فلا بد لنا ان نذكر ان عالمنا العلمي محدود وان وسائل الابتكار العلمي لا تعرف التشجيع ان وجدت ، لأننا لا نحسن تقديرها اولاً ولأن اخلاقنا وخلقنا لم يتعودا بعد على دفع العالم المبدع الى الامام بل مازلنا نعمل على وضع العثرات كافة في وجهه نحول دون كل مايقدم لنا .. نسخر منه حين يحترمه العالم ونسعى وراء ابعاده لقتل ابداعه ..

تلك ظاهرة هامة جداً في حياتنا العامية يشعر بها العلماء في بلادنا العربية .. ولهذا وجدنا ان عدداً كبيراً منهم قد لجأ الى بلاد اجنبية ليتابع ابحاثه ودراسته بعد ان لقي الترحيب والتكريم وقد نبذه وطنه وحاربه ..

ولا ادل على ذلك من ان طبيباً عربياً قد الف كتاباً علمياً تعرض لكثير من النقد والتقريظ .. وان السلطات العلمية والثقافية في جل البلاد العربية قد طلبت هذا الكتاب وعممته على مكاتبها باستثناء وطن الكاتب الذي تجاهل الكتاب كل التجاهل رغم تقديه الكتاب عدة مرات للبحث والدراسة .

اننا في الوقت الذي نرجو فيه ان تتطور عاداتنا وتسمو أخلاقنا ونبث لكل نشاط علمي فعال ، لا بد ان نتساءل هل من الاجدى ان نقدم انتاجنا العلمي باللغة العربية أو بلغة اجنبية ؟

كيف يتم التعريف بالانتاج العلمي ؟

اظن انه من الضروري أن نعرف العالم بانتاجنا بواسطة اقصر الطرق . واستعمال اللغة العربية في هذا الانتاج يؤخر كثيراً في هذا التعريف وسيبقى العالم بعيداً عن ادراك اي تطور يمكن ان نقدمه في حقل العلم طالما انه لم يطلع عليه ، ولهذا لا بد من اللجوء الى وسيلة تسمح للعالم العلمي ان يقرأ انتاجنـــا بلغات يستعملها غالباً . ولنا في اليابان البلد الآسيوي الذي تضارع حضارته ومدنيتـــه البلدان الاوروبيـــة كافة خير مثال . اذ انه بالاضافة الى استخدامـــه اللغة اليـــابانية في بلاده في نشر معارفه ومخترعاته وانتاجه العلمي ، نرى انه يسخر اللغة الانكليزية في كل المجالات لتعريف العالم الى تطوره العظيم وقد تم له ذلك بوضوح في السنين العشر الاخيرة واعتقد انه لو اكتفى باستعمال اللغة اليابانية في شرح انتاجه ومكتشفاته لبقي بعيداً جداً عن العالم ولما حظي بهذا الاجلال العظيم الذي يكنه العلماء في هذا العصر للتقدم الفني الهائل والتطور العلمي العجيب اللذين قدمتهما اليابان الى مدنيتنا الحـــاضرة ، ويكفي ان تعرف ان نصف الاجهزة الالكترونية التي تستعملها الولايات المتحدة الامريكية في مستشفياتها العلمية هي اجهزة من صنع ياباني . وعلى الرغم من وجود عالم طبي وعلمي قائم بذاته في بلاد الشمس فان الاطباء والعلماء يستخدمون اللغـــة الانكليزية في شرح وتدريس الاشكال العالية من انتاجهم العلمي لأنهم يؤمنون بهذا الطريق سرعة الاتصال مع العالم الخارجي وسهولة النشر في الحلقات العلمية العالمية .

ان القومية السليمة هي التي تقضي بالتطور والوطنية الصحيحة هي التي تساعد على اظهار وتوسيع وتطوير كل انتاج علمي لاخنقه وقتله لاعتبارات ذاتية زائلة ... وهذا مايوضح لنا انسجام شعب كالشعب الياباني مع هذا الواقع العلمي متخطياً كثيراً قيود القومية وشروط الوطنية الضيقة ... فاستعمل اللغة اليابانية في بلده في حدود لاتؤذي تطوره وابداعه ... ومن الضروري للبلاد العربية ان تعود الى نفس الطريقة فلا تكتفي باستعمال اللغة العربية في مجال نشاطاتها العلمية بل تجعل لاحدى اللغات الاجنبية المكان الأول الى جانب اللغة العربية وهذه هي الطريقة الوحيدة التي لاتخفي عن العالم مانحمله من تطور وابداع في حقل العلم . وحتى يستقر لنا عالم علمي لانفسنا لابد لنا ان نرتبط بهذه القيود .

الشكل المفضل لتدريس العلوم

ولسنا ندعو الى تدريس العلوم باللغة الاجنبية الا انه من الضروري على الأقل ان يتم تدريس النصف تقريباً باللغة الاجنبية والنصف الآخر باللغة العربية وهو مايسمح للطلاب بعدم الابتعاد عن المجرى العلمي السائر في العالم طالما ان اللغة العربية لاتحمل اليه تطورات العلم في كافة اشكالها وفي اوقاتها اللازمة ... اما اللجوء الى الترجمة فهذا حل وسط ضعيف له محذوران: المحذور الاول انه يصعب على التراجمة في اكثر الاحيان ملاحقة تواتر التطور بشكل متناسب ، والمحذور الثاني أن الترجمة تضعف في كثير من الاحيان النص الاصلي ان لم تشوهه على نحو مانرى في كثير من الكتب العلمية العربية المتداولة . ولست ارى اهمية لاختيار التعابير الطبية الصحيحة باللغة العربية لانني قانع بان هذا ممكن وان هذا لايحول دون الترجمة وبالتالي دون التدريس باللغة العربية .

وكأوضح مثال على دور اللغة ونوعية اللغة في نشر العلم والمعرفة هو ما اكتسبه كاتب هذه الاسطر من خبرة في الموضوع ... فلقد اعتاد تسجيل ودراسة الحوادث العلمية كافة التي يصادفها في ممارسة الطب منذ اكثر من عشر سنوات ، وهي صفة ملازمة لكثير من اطباء المستشفيات في العالم .. وتقدم هذه الدراسات في مواضيع وابحاث ومحاضرات في الندوات والمؤتمرات والمجلات الطبية في الشرق الاوسط واوربا والولايات المتحدة باللغة العربية والافرنسية والانكليزية وتطبع هذه الدراسات وتنشر باحدى هذه اللغات الثلاث ..

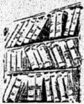
ومن تقاليد الاوساط الطبية العلمية في العالم ان تطلب نسخة من الابحاث الطبية المنشورة التي تجد فيها اهمية خاصة .. ولهذا فهو يتلقى دائماً بطاقات خاصة من دول عديدة في العالم تطلب فيها نسخة من البحث المنشور ومن الطريف جداً ان يذكر انه لم يتلق اي طلب لاي بحث تم نشره باللغة العربية وانه تلقى ما لا يزيد عن خمسة طلبات لكل بحث نشر باللغة الافرنسية في حين يتلقى عشرات الطلبات واحياناً المئات منها لكل بحث نشر باللغة الانكليزية وهذه الطلبات تصدر عن بلاد عديدة تقع في القارات الخمس من استراليا الى اقاصي امريكا الجنوبية مارة بآسيا وافريقيا واوروبا ... ومن بلاد لا تتكلم احياناً الانكليزية وقل ان تستعملها في حياتها الخاصة .

ان هذا الواقع الذي نعيش فيه والذي نشعر به كل يوم يبرهن تماماً على ان استعمال اللغة الانكليزية في الدراسات العلمية في وقتنا الحاضر اجدى بكثير من استعمال اية لغة اخرى لأنها الواسطة التي تنقل الى العالم بعض النشاط المتواضع في المجال الطبي العلمي الخاص ببلادنا العربي وهو ما لم يكن متوفراً في السابق . ولو

اكتفينا باستعمال اللغة العربية فقط في التدريس ونشر المعرفة العلمية لما تم هذا التعريف بنشاطنا الطبي العلمي على صعيد عالمي واسع .

خاتمة ونتيجة

هذا هو الواقع الاجتماعي لمشكلة علمية اساسية تصادفنا طوال مراحل تطورنا ومن الضروري ان نجد لها حلا واضحاً يتناسب مع حاجاتنا ويحافظ على قوميتنا .. ولسنا ندعو البتة الى طرح اللغة العربية جانباً وتبني لغة اجنبية في تدريس العلوم في جامعاتنا ومعاهدنا .. الا اننا ندعو الى الضرورة القصوى لاشراك لغة اجنبية — وتفضل اللغة الانكليزية في الوقت الحاضر — في صلب تدريس العلوم ، فيعمد الاساتذة الى انتقاء مالايقل عن مادتين من اصل البرنامج تتغيران بتغير العام ، تدرسان باللغة الاجنبية ويسأل الطالب عنها في آخر العام وهو بهذا الاسلوب مضطر الى اتقان الدراسة باللغة الانكليزية الى جانب متابعته للعلوم في اللغة العربية فيكون قد حظي بمعرفتين وهذا اول الطريق للاتصال بحلقات التطور العلمي في العالم .



نحو طريق جديد للاشتراكية

بقلم يونس حيدر

تنطلق الاتجاهات الاشتراكية المعاصرة في محاولتها للبحث عن طريق جديد للاشتراكية ، من مسلمة اساسية ، هذه المسلمة تقول : « نحن في عصر جديد » الأمر الذي يقترح بالضرورة السؤال التالي : ماهي القوانين والسمات التي يكشف عنها هذا العصر ؟

من أجل هذا ، كانت هناك محاولات متعددة داخل الاشتراكية العلمية الماركسية ، وخارجها ، تبحث جميعها عن طريق جديد للاشتراكية ، وعن حلول جديدة لمشاكل هذا الواقع . نسمع من ذلك – مثلاً – صوت – اميندولا – احد

المسؤولين في الحزب الشيوعي الايطالي يطالب بطريق جديد للاشتراكية ينسجم مع ظروف العصر الجديد ، بينما نسمع صوتاً آخر لمسؤول في الحزب الشيوعي الفرنسي هو روجيه جارودي — يقول بأن علينا ان نتحدث الآن لا عن الماركسية في القرن العشرين ، وانما عن ماركسية القرن العشرين .

ان مثل هذه الأصوات وهي ترتفع اليوم داخل الفكر الماركسي وخارجه ، لايمكن ان توصف بالإنتهازية والخيانة ، كما كان ينظر اليها في زمن سابق ، وانما هي في الواقع حصيلة سنوات طويلة من التجربة والخطأ ، وتعبير عن الظروف المتغيرة التي يمليها كل عصر ، وعن حركة التجديد العلمي التي تكتشف قوانين جديدة تضمها الى جملة قوانينها وترفض قوانين قديمة اثبتت التجربة عدم صحتها .

ان الفكرة التي كانت سائدة لفترة طويلة من الزمن والتي تقول « لانريد ان تستورد الافكار »،التي استخدمتها الاتجاهات الرجعية والانتهازية في تبرير عدائها للافكار التقدمية ، هي مع ذلك أقل خطراً من القول بفكرة : « لندع الآخرين يفكرون عنا ».

إن الاسلوب العلمي والثوري في التفكير ، ينطلق من الواقع ، ليكشف قوانينه من داخله . وبغير دراسة الواقع والانطلاق منه ، لايمكن ان يكون ثمة تفكير علمي أو منهج علمي او اشتراكية علمية .

وبالنظر الى الحقائق الجديدة التي كشف عنها هذا العصر ، كان لابد من التأكيد على وجود الطريق العربي الى الاشتراكية ، ليس بقصد ايجاد نوع خاص من الاشتراكية في الوطن العربي ، وإنما كتعبير عن الواقع العربي ، وعن الظروف الموضوعية التي بها هذا الواقع . وهذا الطريق ينطلق اساساً من التسليم بالأمور التالية :

١ — ان الاشتراكية واحدة ، مادامت تعني في جوهرها الغاء استغلال الانسان للانسان ، ومادام تحقيق هذا الجوهر يرتكز على شرطين أساسيين هما : الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج ، العمل لا الملكية هو رأسمال العامل وهو القيمة الاولى . ولكن وحدة الاشتراكية من حيث جوهرها ، ومن حيث هدفها الانساني ، لايعني وحدة التجارب الاشتراكية ، او وحدة طرق الوصول الى هذا الهدف . فثمة طرق متعددة ، لها اسسها الموضوعية والذاتية ، التي تنبع من واقع كل مجتمع ، وترتبط به حضارياً واجتماعياً وتاريخياً . وكل طريق للاشتراكية يقدم على ضوء تجاربه اضافات جديدة،ويكشف لنفسه قوانينه الخاصة التي تسهم في اغناء الفكر الاشتراكي ، كما يحاول ان يستفيد من تجارب

الآخرين ، بالقدر الذي يدعم فيه تجربته ، ويوفر على نفسه خطر الوقوع في اخطاء التجارب الاخرى .

٢ – ان الحل الاشتراكي ، هو الحل الحتمي الوحيد لظروف التخلف ، ولتحقيق الانطلاق الاقتصادي والاجتماعي في دول العالم الثالث ومنها وطننا العربي . وان الطريق الرأسمالي طريق مسدود في وجه تطورنا ، واكثر من ذلك ، فهو غير قادر على ان يحقق لنا اي تقدم جدي في مجال التصنيع والتنمية السريعة .

٣ – ان الظواهر الاجتماعية التي يطرحها يومياً الواقع المعاصر ، كشفت عن وجود قوانين علمية جديدة ، تختلف ومنطق التحليل الماركسي ، الأمر الذي يدفع الى القول بان الماركسية ، اشتراكية علمية ولكنها ليست هي العلمية الوحيدة . بمعنى آخر ، يمكن ان نقول بان الطريق العربي الى الاشتراكية استطاع ان يكتشف لنفسه قوانين علمية جديدة في دراسته لواقع المجتمع العربي ، وتطوره الاجتماعي والسياسي . فهو بالتالي تعبير عن اشتراكية علمية ، الأمر الذي يقودنا الى السؤال التالي : ماهي الملامح والقسمات التي يتميز بها الطريق العربي الى الاشتراكية ؟

ان التحولات الاشتراكية ، التي تجري فوق اكثر من أرض عربية ، لايمكن دراستها وفهمها واستيعاب حقائقها الأساسية الا من خلال دراسة وفهم واستيعاب حقائق الثورة القومية العربية . ما من ثوري عربي يستطيع ان يفهم هذا الانتقال من مجتمع شبه اقطاعي شبه رأسمالي الى مجتمع يحمل الكثير من مميزات وخصائص المجتمع الاشتراكي ، من غير ان يلقي نظرة شاملة ومتفحصة على ذلك التحرك القومي الواسع وتلك الموجات التحررية التي تشمل الوطن العربي كله . ان فهم هذه التحولات بمعزل عن الثورة القومية العربية سوف يفضي الى استخلاص نتائج غير علمية ، وبعيدة عن ان تقدم صورة أمينة لواقع هذه التحولات وحقيقتها .

ان التحول نحو الاشتراكية ، ليس تعبيراً عن حاجة اجتماعية واقتصادية وحسب ، وانما هو في الوقت نفسه تعبير عن حاجة قومية يسعى الانسان العربي من خلالها الى بناء المجتمع العربي الموحد ، والدولة العربية الواحدة ، وبمعنى آخر فان الصراع الطبقي وضرورات التنمية ، وواقع التخلف ، هذه كلها ، تقدم اجابات صحيحة ، ولكنها محدودة ، عن الاسئلة المطروحة علينا فيما يختص بطبيعة التحول الاشتراكي العربي .

ان الاجابة الحقيقية تأتي من خلال فهم الشخصية القومية المتميزة للأمة العربية ،

ومن خلال فهم الثورة القومية العربية الشاملة ، ومن خلال ذلك التطلع الجماهيري غير المحدود نحو الوحدة. وبشكل اوضح : إن البعد القومي هو بعد أساسي من أبعاد الطريق العربي الى الاشتراكية ، ومفهوم أساسي من مفاهيم هذا الطريق ، وقيمة من قيمه .

ان حقيقة وجود الأمة العربية ، بما تشتمل عليه هذه الحقيقة من معنى وجود حضارة متميزة ، وتراث مشترك ، وخصائص قومية معينـــة ، هذه الحقيقة التي تقر بوجود كيان حضاري واحد للأمة العربية ، تفضي الى عدة اعتبارات ، منها أن البناء الاشتراكي العربي لابد وان يكون موسوماً بالطابع العام لهذا الكيان الحضاري الواحد، ومنها إن البعد القومي الذي نلح على انه بعد أساسي من ابعـــاد الطريق العربي الى الاشتراكية ، هو الذي يضفي على هذا الطريق ملامحه الخاصة ، على اعتبار أنه التعبير الأصيل عن الوجود الحضاري للأمة العربيـــة ، هذا الوجود الذي نتمسك به لأنه وجودنا ذاته .

وهذا البعد القومي ليس مجرد تعبير عن عاطفة نبيلة تتأجج في صدر كل عربي ، وليس مجرد تصور حدسي للواقع العربي ، وليس مجرد خيال من خيالات القرون الخوالي، يوم ان كانت امتنا العربية امة واحدة ذات حضارة عريقة واصيلة ، لكنه حقيقة علمية يمليها الواقع ، وتؤكدها الدراسة المتفحصة .

واكثر من ذلك ، فان التجارب الاشتراكية العربية ، لايمكن ان تستكمل أسباب نجاحها من غير أن تنصهر في تجربة واحدة تشمل الوطن العربي على امتداده . وهذا هو المعنى الحقيقي لذلك التعبير الذي يتخذ صيغاً مختلفة ، والذي يقول في احـــدى صيغه : اننا نريد أن نبني الاشتراكية في الوطن العربي كله .

لقد جاءت الثورة القومية العربية الاشتراكية ، رداً حاسماً على ذلك القول الذي كان جائزاً في عصر القوميات الأوربيـــة ، في عصر صعود الرأسمالية ، وهو ان الحركة القومية حيلة بورجوازية تستهدف أمرين رئيسيين : الهاء الطبقات العاملة عن هموم الصراع الطبقي ومشاكله ، وايجـــاد أسواق اوسع لمنتجات المصانع التي يتملكها عدد ضئيل من الرأسماليين .

على العكس من ذلك تماماً ، فان حركة القومية العربية ، هي بالدرجة الاولى حركة عمال وفلاحين ، حركة الكادحين العرب . ولئن بدت هذه الحركة في مرحلة من مراحلها الأولى تعبيراً عن مصالح الطبقات البورجوازية ، بل والاقطاعية في بعض الأحيان ، فانها بما تملكه من طاقات متجددة استطاعت أن تتجاوز نفسها .

ان النضال القومي مرتبط ارتباطاً لاحدود له بالنضال الطبقي ، وان الثورة القومية وثيقة الصلة بالثورة الاجتماعية ، ولكن اكثر علمية فنقول : ان الثورة القومية تحولت تدريجياً الى ثورة اجتماعية دون ان تفقد اساسها القومي ، وذلك هو الرد الحاسم على نوعين من الايديولوجية : ايديولوجية الطبقة الوسطى التي وجدت في حركة القومية العربية تعبيراً عن مصالحها الطبقية ، وايديولوجية الماركسيين التقليديين الذين وجدوا في هذه الحركة ماوجده « ماركس » في الحركات القومية الاوروبية .

ان الطريق العربي الى الاشتراكية يسلم بحقيقة الصراع الطبقي كظاهرة من الظواهر التي تحكم التطور الاجتماعي . بل هو يسلم بأن هذا الصراع هو احد القوانين الاجتماعية التي تسهم في الانتقال من صورة من صور التطور الى صورة اخرى .

ان التناقض حقيقة من حقائق الوجود ، ويتحقق التغير بنتيجة هذا التناقض ، والصراع الطبقي شكل من اشكال التناقض في المجتمع بين القوى المستغِلة ، والقوى المستغَلة ، ولأنه كذلك ، ولأن التناقض يفضي الى التبدل ، فان الصراع الطبقي حقيقة قائمة لايعال لتجاهلها او انكارها .

على ان الطريق العربي الى الاشتراكية ، يقترح اشكالاً جديدة لهذا الصراع ، وهذه الاشكال التي يقترحها ليست تعبيراً عن رغبات ذاتية ، بقدر ماهي تعبير عن الحقائق الجديدة في هذا العصر . ان الطريق العربي الى الاشتراكية يقترح ، بل ويحقق اقتراحه هذا على الصعيد العملي ، ان يأخذ هذا الصراع شكلاً سلمياً ، بمعنى أن الطريق العربي الى الاشتراكية يلجأ الى الحلول السلمية لازالة التناقض القائم بين الطبقات . انه يعترف بأهمية الصراع الطبقي ، ولكنه يعترف في الوقت نفسه ، بامكانية الحل السلمي لهذا الصراع . وكما قلنا ، فان الحل السلمي ليس الا المحصلة النهائية لعدة حقائق يمليها العصر ، وتفرضها حقائق الواقع الاجتماعي . من ذلك مثلاً ، أن وجود المعسكر الاشتراكي بثقله المادي والمعنوي ، يحول دون أن تتصدى الدول الاستعمارية ذات الأنظمة الرأسمالية لعمليات التحول الاشتراكي في البلدان الأخرى ؛ ومن ذلك مثلاً أن المعسكر الاستعماري يتراجع عن مواقعه ، موقعاً إثر موقع . ولئن استطاعت القوى الاستعمارية أن تستعيد بعض مواقعها احياناً ، فان الصورة الاصلية تبقى صحيحة ، وهي أن هذا العصر هو عصر تفسخ النظام الاستعماري . ومن ذلك مثلاً أن الرجعية في بلادنا تعتبر ضعيفة نسبياً ، بالقياس الى مثيلاتها من رجعيات القارة الأوروبية . ان الرجعية في بلادنا ، على درجة غير عادية من التخلف ، وهي لاتملك المؤسسات المادية التي تستطيع منها أن تواجه الجماهير المتطلعة الى آفاق الحرية والعدل ،

ومع أنها تحاول أن تستند الى تراث فكري ضخم – ليس من صنعها طبعاً – لكنها تبقى في نهاية ضعف من أن تواجه قوى الثورة العربية .

ان أسلحة الرجعية هي أموالها ، فاذا جردت من أسلحتها ، فقــدت قدرتها على التحرك والمواجهة .

على أنه لا بــد من الاشارة الى أن الطريق العربي الى الاشتراكية ينكر امكانية لانتقال الى الاشتراكية عبر المجالس النيابية ، عبر المؤسسات الديمقراطية التقليدية . واذا كان المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفييتي قد أقر بامكانية الانتقال الى الاشتراكية عن طريق المؤسسات الديمقراطية التقليدية، فقد كان يتوجه باقراره الى المجتمعات الأوربية، التي لها ظروفها الخاصة ، والتي أرغمت انظمتها الرأسمالية على التقدم بتنازلات معينة . ان قولنا بالحل السلمي للصراع الطبقي يتجه وجهة أخرى . ان الانتقــال السلمي الى الاشتراكية عبر المؤسسات الديمقراطية التقليدية في بلادنا أمر مستحيل ؛ فاذا أخذنا بعين الاعتبار ، ان السلطة الثورية هي التي تقوم باتمام التحولات الاشتراكية فوق أكثر من أرض عربية ، أدركنا أن شعار سلمية الصراع الطبقي يقصد أنه حين تكون السلطة في يد القوى الثورية، تصبح امكانية الانتقال الى الاشتراكية وحل الصراع الطبقي بأقل قدر من العنف أمراً غير مشكوك فيه . ومهما يكن من أمر ، فان القوى الثورية تضطر في بعض الأحيان للجوء الى ما يمكن أن نسميه العنف الثوري ؛ على أنها تراعي دائماً ضرورة أن لا يكون العنف مبدأ ، وأن لا يلجأ اليه الا عند الضرورات القصوى ، حين تصبح الثورة كلها معرضة للسقوط ، وعند ذلك يكون هو الحل الوحيد . ان الحل السلمي هو امكانية وليس حتمية ، لذلك فلا تعارض بين القول بالثورة وبين القول بالحل السلمي ، مادامت الثورة هي الشيء الحتمي ، وهي التي تفرض وسيلة تحقيقها .

وكما اقترح الطريق العربي الى الاشتراكية حلاً سلمياً لظاهرة الصراع الطبقي ، فقد اقترح أيضاً مفهوماً جديداً لديكتاتورية البروليتاريا . إن الماركسية التقليدية تنادي بثورة تقوم بها البروليتاريا ، ويقودها الحزب الشيوعي طليعة البروليتاريا ، من أجل اسقاط النظام الرأسمالي بالقوة وباستخدام وسائل العنف، واقامة شكل جديد من أشكال السلطة يستند الى ما يسمى بديكتاتورية البروليتاريا . ومع أنه من قبيل الوفاء للحقيقة أن نعترف للماركسية في هذا المجال بالقدرة على التطور ، فان هذا المفهوم يبقى مفهوماً أساسياً من مفاهيم الماركسية ، ومع أن الاتحاد السوفييتي يعلن الآن بأنه أصبح دولة كل

الشعب ، فان المنظرين الماركسيين مازالوا يتحدثون عن ديكتاتورية البروليتاريا بشكل أو بآخر . لكن الطريق العربي الى الاشتراكية يقترح بدلاً من ديكتاتورية البروليتاريا، تحالفاً يقوم بين قوى الشعب العاملة ، قوامه العمال والفلاحون والجنود والمثقفون الثوريون والبورجوازية الصغيرة ، هذا التحالف الثوري ينطلق من مسلمة أن هذه القوى الخمس هي صاحبة المصلحة في التحول الاشتراكي ، وبدرجات متفاوتة . قد تكون هذه القوى متناقضة، وهذا أمر طبيعي ، ولكنها ليست متصارعة . ان التناقض يمكن أن ينشأ داخل الطبقة الواحـــدة ، وبالتالي فهو قائم حتماً بين الطبقات المختلفة ، ولكنه تناقض سلمي ، هامشي ، لايفضي الى الصراع .

وهذا التحالف الثوري يعبر عن رفضه لديكتاتورية البروليتاريا ليس فقط لأنه يرفض ديكتاتورية الطبقة الواحدة، وانما ايضاً لاعتبارات عملية ، وهي أن عمال المصانع في بلادنا لايشكلون قوة رئيسية من قوى المجتمع . انهم احدى هذه القوى فحسب . ان ديكتاتورية البروليتاريا ليست مرفوضة من الوجهة النظرية فقط ، وانما هي غير ممكنة اصلا . من هنا كان ذلك التحالف الثوري بين القوى الرئيسية في المجتمع . واذا كانت ديكتـــاتورية البروليتاريا هي « نظرية الثورة الاشتراكية في البلاد الرأسمالية الكبرى وأساساً في ظروف الثورة المسلحة ، ومن ثم فهي تطبيق أوربي للعلم الماركسي في ظروف خاصة » فان تحالف قوى الشعب العاملة هو نظرية الثورة الاشتراكية في البلاد المتخلفة، ومن بينها وطننا العربي .

ويترتب على ذلك ان العمل السياسي قد اتخذ صيغة تنظيم يمثل لمصالـــح القوى المتحالفة ، بدل أن يكون ممثلا لمصالح طبقة واحدة . ان الحزب الثوري ، او الجهاز السياسي ، او التنظيم الشعبي ، كلها اشكال مختلفة التعبير عن ذلك التحالف الثوري القائم بين قوى الشعب العاملة . ومامن سلطة عربية ثورية اشتراكية تدعي انها تعبر عن مصالح طبقة واحدة ، ومامن سلطة عربية ثورية اشتراكية تميل الى الأخذ بمفهوم ديكتاتورية البروليتاريا . انها جميعاً تتحدث عن ديمقراطية الشعب العامل ، وعن الديمقراطية الشعبية، وعن الديمقراطية السليمة ، وفي هذا مافيه من رفض لأسلوب القسر والارغام ، ومن تأكيد للتفتح والحرية والأخذ بكل ماهو انساني وعادل .

في مجال الملكية ، ميز الطريق العربي الى الاشتراكية بين نوعين من الملكية: ملكية مستغلة ، وملكية لانريد ان نقول انها ليست مستغلة لكننا نقول ان لها وظيفة اجتماعية تؤديها . ان الملكية المستغلة محكوم عليها بالاقتلاع، عملا بمبدأ تمليك الشعب وسائل الانتاج

الرئيسية . لكن البناء الاشتراكي يحتاج في بعض مراحله الى جهد الافراد ، ليس بمعنى ان الاشتراكية تؤمن بما يطلق عليه في لغة الرأسماليين اسم المبادءة الفردية ، ولكن بمعنى ان اشكالا محددة من الملكية الخاصة تستطيع ان تقوم بدورها في عملية التنمية ، شريطة ان تظل خاضعة للاشراف والمراقبة ، اي ان تظل في الحدود التي لاتسمح لها بأن تشكل مظهراً بارزاً من مظاهر الاستغلال الرأسمالي ، وبمزيد من الوضوح ، فان هذه الاشكال المحددة من الملكية الخاصة ، تؤدي وظيفة اجتماعية ، تبني في حدود الخطة الموضوعة وتطلق طاقاتها داخل اطار الصورة المرسومة .

بدءاً من هذه المنطلقات ، فان السلطة الثورية في الوطن العربي لم تلجأ الى اسلوب تحويل الأرض المصادرة الى مزارع جماعية ، وانما استبقت هذه الارض في ايدي الفلاحين الفقراء موزعة عليهم في حدود جهد الفلاح واسرته ،أي في الحدود التي تجعل من الاراضي المستولى عليها نموذجاً للمبدأ القائل : « الارض لمن يحرثها » .

ان ذلك لايمنع من تطوير هذا الاسلوب ، ومحاولة استكشاف آفاق اسلوب آخر يقوم على زراعة الارض بطريقة جماعية ، او باشراف الدولة . ولربما كان هـــذا الاسلوب الجديد هو ما سوف يتبع بالفعل بالنسبة للاراضي الشاسعة التي سوف تغمرها مياه السد العالي في اسوان ، هذه المياه التي سوف تزيد الرقعة الزراعية في الجمهورية العربية المتحدة بنسبة الثلث ، اي حوالي المليوني فدان ، وكذلك الأمر بالنسبة للرقعة الزراعية التي سوف تستفيد من مياه سد الفرات عند الانتهاء من تشييده .

وبدءاً من هذه المنطلقات ايضاً ، فان السلطة الثورية استبقت في ايدي الافراد بعض المؤسسات الصناعية التي لاتشكل ملكيتها الفردية عقبة في طريق البناء الاشتراكي . كما انها حاولت ان تدفع بعض ذوي الطموح الفردي الى الاسهام في المشروعات الصناعية التي تحتاج الى جهودهم ، وفي حدود الخطة المقررة والبناء المرسوم .

مرة اخرى : إن الوظيفة الاجتماعية للملكية الخاصة ، هي الحد الفاصل بين الملكية المباحة والملكية المحرمة .

تبقى مسألة الاديان ، أين نحن من هذه المسألة ؟ أين نقف ؟ وماذا نقول ؟

ان الطريق العربي الى الاشتراكية ، اذ يحاول ان يحدد موقفه من الدين ، يضع في اعتباره الحقائق التالية .

١ — ان الدين الاسلامي بالنسبة للعرب جزء من شخصيتهم وكيانهم وليس مضافاً

عليا ، وثمة ارتباط عميق بين الشخصية العربية والشخصية الاسلامية ، وبين الحضارة العربية والحضارة الاسلامية ، بشكل يصعب معه التمييز بينها .

٢ — لقد ارتبط الاسلام في المنطقة بالجماهير ، ولم يكن في يوم من الايام معزولاً عن قضاياها الاساسية ، وهو في ذلك يخالف الصورة المألوفة عن الدين في اوروبا ، حيث ارتبطت الكنيسة بالاقطاع ، وكانت من اقوى ركائزه ، وحيث وقفت في وجه احتمالات التطور الاجتماعي والعلمي والفكري ، وحيث كانت أداة قمر وارهاب ، وصورة من صور الجمود العقلي .

٣ — ان الطريق العربي الى الاشتراكية ينظر الى الدين في جانبه الميتافيزيقي على أساس من حرية الاعتقاد واحترام القناعات الشخصية . أما في الجانب الاجتماعي ، فهو لا يحاول فقط أن يقيم معه علاقة تعايش سلمي — اذا صح التعبير — كما تفعل الاحزاب اليسارية الآن في فرنسا وايطاليا ، وانما يستفيد منه كإرث ايجابي وكطاقة نضالية لايمكن اغفالها في كثير من قضايا التحرر والوحدة . وما دام الهدف هو العمل من أجل ان تنتصر الاشتراكية وتحقق العدل للجميع ، ومادام العمل من أجل الاشتراكية لاينفصل عن العمل من أجل الوحدة على إعتبار ان الاشتراكية لايمكن ان تأخذ شكلها الحقيقي إلا ضمن إطار الوحدة وبغير ذلك تكون تكريساً للتجزئة — فان كل مايدعم هذا الترابط ويسهم في تحقيقه هو عمل ايجابي ويجب ان يوضع في مكانه الصحيح .

من هذه الزاوية يمكن فهم موقف الفكر الاشتراكي العربي من مسألة الأديان ، ومن هذه الزاوية ايضاً يمكن فهم طبيعة ذلك الجسر القائم بينها .

في كل ماسبق نستطيع ان نلمح بعض القضايا العملية التي يطرحها الطريق العربي الى الاشتراكية ، ولكن تبقى مسائل فكرية هامة . اين نحن مثلاً من القضية القائلة ، إن التاريخ يسير وفق قوانين موضوعية وبحسب حتميات مطلقة تماثل تلك التي تعرف في ميدان المادة ؟ أين نحن من تلك الفكرة التي تقول : إن الانسان من صنع التاريخ وان التطور التاريخي والاجتماعي محكوم بظواهر الصراع الطبقي .

وفي هذا المجال ، نحاول ان نجيب أسئلة ، وان نحدد موقفا ، نحاول ان نقول إن التاريخ ليس مجرد جملة من القوانين التي تفضي الى نتائج حتمية لافرار منها ، انه اكثر من ذلك ، ان ارادة الانسان تسهم في صنع هذه القوانين ، ومن ثم فان الانسان ليس

فقط من صنع التاريخ ، وانما هو ايضا صانع للتاريخ ، ثمة حوار لاينقطع بين الانسان وبين التاريخ ، وعبر هذا الحوار ومن خلاله ، يسير التاريخ ويتطور الانسان ، وتتقدم المجتمعات البشرية .

نحاول ان نقول انه اذا كانت النظريات المعاصرة في الفيزياء تعترف للعوامل الذاتية بقيمة ما في التأثير على القوانين العلمية ، واذا كانت اللاحتمية وعلائق الارتياب ، أي اذا كان مبدأ عدم التعين مبدأ معترفاً به في الفيزياء الحديثة وبخاصة في مجال الميكرفيزياء ، أفلا يكون جديراً بنا ان لانتحدث عن حتميات صماء في مجال العلوم الانسانيـــة ومنها التاريخ ؟

نحاول ان نقول ان ثمة جدلاً بين المادة والفكر ، المادة تصنع الفكر ، والفكر يؤثر في المادة ، لا الفكر حصيلة التطور المادي فقط ، ولا المادة من صنع الفكر فحسب ، ثمة تفاعل وحوار بينها .

بعد هذا يمكن ان نسأل ، في الطريق العربي الى الاشتراكية ، ماهو دور الفكر وما هو دور الممارسة ، ولماذا جاء الفكر متأخراً عن الممارسة ؟ وهــل بدأت الثورة الاشتراكية في بلادنا على فراغ فكري ، كما يقال ؟

الثورة العربية الاشتراكية هي تعبير عن تفاعل مستمر بين الفكر النظري وبين الممارسة العملية ، بين فضيلة المعرفة وبين « فضيلة الحقيقة الواقعة المباشرة » ، بين محاولة تفسير الواقع وبين ماهو أهم : تغييره . وقد لعبت الممارسة الدور الاول في عمليات البناء الاشتراكي ، وبقدر ما حملته معها هذه السمة ، بقدر ما كانت وسيلة انجاز . خاصة وان الثورة العربية كانت تواجه واقعاً معيناً ، ومشاكل عاجلة لابد من حلها ، لذلك اتخذت الاشتراكية طابعاً عملياً واجرائياً .

ان الثورة الاشتراكية في بلادنا هي وليدة الحاجة ، فلقد فرضتها ظروف التخلف الى جانب ضرورات التنمية ، لذلك اتجهت الى الواقع العملي مباشرة ، تحاول ما استطاعت بما تملك من ادوات ان تلبي هذه الحاجات ، كما انها خاضت نضالاً مزدوجاً ، فهي الى جانب معركتها الطبقية ضد الاقطاع والرجعية ، فقد دخلت ايضاً في معركة اخرى قومية ، ضد أشكال التجزئة . لهذا فقد أخذت ابعادها الحقيقية بالواقع ، ثم جاء الفكر بعد ذلك ليبلور هذه الابعاد في صورتها الواضحة .

يقول ماوتسي تونغ :

« ان ممارسة الانسان هي وحدها مقياس الحقيقة ، لأن المعرفة الانسانية لاتثبت صحتها الا حين يتوصل الانسان الى النتائج المقدرة سلفاً بواسطة عملية الممارسة الاجتماعية .. ان عملية المعرفة تبدأ من الممارسة ، وتبلغ المستوى النظري بواسطة الممارسة ، ومن ثم ينبغي لها أن ترجع الى الممارسة ».

ان القول بالممارسة هو غير القول بالتجريبية ، بمعنى أن الطريق العربي الى الاشتراكية ، لم يكن ذا طابع تجريبي محض ، ولم يقم على فراغ فكري ، وانما سار بموجب أهداف ومبادىء ، ربما كانت عريضة جداً ولكنها — على كل حال — حددت بعض معالمه ودفعته الى التحرك ضمن وعي لحقيقة التجربة التي يقتحم مجالها لاول مرة .

ومهما يكن من امر ، فان النظرية الحية هي تلك التي لاتفقد قدرتها الذاتية بمجرد مواجهتها لاسئلة لم تكن مستعدة للاجابة عليها . ان حيويتها تكمن في قدرتها على مواجهة حتى تلك المشكلات التي لم تكن في الحسبان . وهي لاتتمسك بأي نص ثبت بالممارسة خطأه انها على استعداد دائم لان تقوم بعملية مراجعة منظمة ، اقول مراجعة ولا اقول تراجعاً ، مراجعة تستكشف من خلالها آفاقاً جديدة للعمل ، كما ان الثوري الاصيل هو ذاك الذي تلك إمكانية فهم الواقع المتغير والتكيف معه ، كما يملك القدرة على ان يفتح عقله على الايجابي والسلبي في كل ما تحقق وانجز متجاوزاً كل الصيغ النظرية التي سقطت بسقوط عصرها .

في سنة ١٩٢١ ، اي بعد اربع سنوات من قيام الثورة الروسية ، قام لينين بعملية مراجعة لكثير من الانجازات التي حققتها الثورة خلال هذه السنوات « فألغى الاستيلاء على فائض الانتاج عيناً ، وسمح بحرية التجارة الداخلية ، وألغى تأميم المؤسسات الصناعية التي لايزيد عدد العمال فيها على عشرين عاملاً وسمح لبعض الافراد والشركات بأن تقيم مصانع تملكها ملكية فردية » .

ان وجود نظرية علمية كالماركسية ، لم تجعل « لينين » يسجن نفسه في حدود هذه النظرية ، وأن يتوقف عند النصوص النظرية . فالمهمة الاساسية المطروحة في تلك الفترة هي زيادة الانتاج ، وقد رأى « لينين » في هذه الاجراءات السبيل الوحيد لذلك .

ان الواقع هو الذي يبدع النظرية ، وان الطريق العربي الى الاشتراكية ، عندما طرح نفسه كحل وحيد لتخلفنا الاقتصادي والاجتماعي ، واجه فجوة هائلة في المجال الفكري ، وذلك نتيجة لعجز البورجوازية عن أن تقوم بدورها على الصعيد الفكري ، لأنها كانت بالحقيقة مجرد كتلة اقتصادية متواطئة مع الاقطاع والرجعية ، وليس لها أي محتوى فكري . كما أن الفكر الماركسي ، بالرغم من اعتباره أحد الروافد التي غذت الفكر

الاشتراكي العربي ، لم يستطع – بحكم موقفه من بعض القضايا القومية والدينية ، وعدم محاولة الاحزاب الشيوعية الموجودة في الوطن العربي تطويره – أن يقوم بالدور الحقيقي الذي كان يمكن أن يقوم به .

لذلك فان الطريق العربي الى الاشتراكية وجد نفسه في مواجهة الواقع مباشرة ، يتفاعل معه ، ويجوس أرضه بحذر حيناً ، وبجرأة في معظم الاحيان ، بشكل سبق فيه العمل الفكر ، وتخلفت الكلمة عن الممارسة .

سؤال اخير : هل دخلنا عصر الاشتراكية ، ام مانزال نقرع الابواب ؟

نحن الآن في مرحلة إنتقال من النظـــام شبه الاقطاعي ، شبه الرأسمالي إلى النظام الاشتراكي .

ان عصر الاشتراكية لايفتح أبوابه للطارقين الا بعد رحلة طويلة وشاقة ، رحلة يضع الانسان خلالها الأسس المادية والفكرية لاعادة صنع حياته من جديد . وبمزيد من الوضوح : فان الوصول الى المجتمع الاشتراكي يتطلب شرطين اساسيين : ظروفاً موضوعية ناجحة ، وارادة ثورية اصيلة . ولقد توفر للثورة العربية شرط الارادة الثورية الاصيلة ، ارادة التغيير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي ، ارادة الوصول الى المجتمع الاشتراكي . لكن الشرط الاول ، اعني شرط توفر الظروف الموضوعية ، مازال في طور النضوج ، هذا الشرط الذي يقوم ايضاً على وجود طبقة عمالية نامية ، وقاعدة صناعية متطورة ، والذي يؤهل لقيام علاقات اشتراكية حقيقية . ولعل الثورة العربية ان تكون قريبة من عصر الاشتراكية . صحيح انها في مرحلة انتقال ، ولكنها تقترب شيئاً فشيئاً من الظروف الموضوعية الناضجة للتحويل الاشتراكي الحاسم ، والعلاقات الاشتراكية الحقيقية .

ان عصر التصنيع الثقيل الذي توشك الثورة العربية ان تدخله من ابوابه الواسعة هو القاعدة المادية الصلبة لقيام المجتمع الاشتراكي العربي المرتقب .

البحوث الاجتماعية

المجتمع في عصر التقنية

للعالم السوفييتي هنريخ فولكوف
HEINRICH N. VOLKOV

ترجمه عن الفرنسية الدكتور فؤاد أيوب

يرسم لنا غوستاف اميكبرغ في كتابه « الانسان والتقنية » (زوريخ ١٩٥٣) لوحة ظريفة عن تطور المجتمع الذي يصوره لنا كميدان للسباق طوله ستون كيلو متراً ، ويساوي كل كيلو متر واحد فيه عشرة آلاف عام .

ويجري قطع هذه المسافة كما يلي :

يجتاز القسم الاكبر من الطريق غابات عذراء دون أن يطرأ عليه تبدل ملموس ، ولاتظهر علائم الحضارة الاولى إلا قرب نهاية الميدان ، عند الكيلو متر الثامن والخمسين أو التاسع والخمسين : تلك هي الأدوات البدائية للانسان الاول ، والرسوم الصخرية على جدران الكهوف . اما المزارعون الاولون فلا نشاهدهم إلا في الكيلو متر الاخير .

ويصل العداؤن عند الامتار الثلاثالة الأخيرة الى طريق حجرية تمر أمام الاهرامات المصرية وتحصينات روما القديمة . وتظهر لنا مدن العصر الوسيط قبل مائة متر من نهاية الشوط ، فاذا قطعنا خمسين متراً اخرى شاهدنا رجلا ذكي العينين يراقب السباق : ذلك هو ليوناردو دي فنشي .

ولم يبق أمامنا سوى عشرة امتار تبدأ على ضوء المشاعل والأنوار القائمة المصابيح الزيتية . لكن معجزة تبعث على الذهول تقع عند الوثبة الأخيرة ، اذ يغمر النور الكهربائي الطريق ، وتحل السيارات مكان العربات ، وتهدر الطائرات في الجو . وان العدائين الذين اصابتهم الدهشة لتعمي أبصارهم مصابيح الأنوار الكاشفة ، ويحوطهم من كل حدب وصوب المراسلون الصحفيون ، والراديو ، والتلفزيون ، الخ .

اجل ، فالامتار العشرة الأخيرة ، حيث وقعت تبدلات تفوق كل ماجرى خلال المراحل السابقة من الوجود الانساني ، تمثل السنوات المائة الأخيرة . وانها لتتميز بأن التيارين الأساسيين للفعالية البشرية ، ألا وهما العمل المنتج والعمل العلمي ، يتسابقان في جريانها ، وتتداخل مياهها ، ويندفعان بعزم مثل الفيضان الجموح الذي يحمل كل مايصادفه في طريقه . وهذا هو احد الأسباب الرئيسية لذلك التسارع البالغ العنفوان الذي طرأ على أنساق التقدم العلمي والتقني في سياق القرن الأخير . ولقد تمكن الانسان على هذه الصورة ، بفضل الحلول الذي تحقق بين العلم والانتاج ، أي التقنية ، ان يضع قوى الطبيعة في خدمته ، وهي قوى لاحدود لقدرتها الكامنة .

ومن المؤكد ان قصدنا لايتوقف عند التسارع الذي تناول أنساق التقدم العلمي والتقني فحسب . ذلك ان حقل التقنية اذا اقتصر في الماضي على انتاج الخيرات

المادية وحدها ، فانه يتغلغل حالياً في كل نسيج الحياة الاجتماعية . فالتقنية قد أحدثت ثورة شاملة في وسائط النقل ، واتخذت موطىء قدم راسخة في حضارتنا ، وفي حياتنا اليومية ، وفي راحتنا ايضاً .

وحدثت وثبة كيفية كبرى في تطور التقنية ، وهي وثبة تحملنا على أن نرى في ضوء جديد كلياً ماضي التقدم العلمي والتقني وآفاقه المقبلة على حد سواء . ان السيبرنطيقا [1] وعلم تكوين الحياة يبتدعان مبادىء تقنية المستقبل (التقنية بدون الآلات على سبيل المثال ، او اجهزة تمثل التعايش بين العضوية الحية والمادة) ، وهي مبادىء لاتتفق مطلقاً مع أطر المفاهيم القديمة . ان الثورة في التقنية تترافق بالثورة في العلوم وفي الفكر التقني وفي مفهوم العالم وتكون مشروطة بها ، أضف الى ذلك ان للتقنية نفوذاً كبيراً على العلاقات الاجتماعية والايديولوجية والروابط الخلقية ، كما انها تطرح على المجتمع قضايا جديدة كل الجدة .

ان المكتسبات الكبرى للعلم والتقنية تضع تحت تصرف الانسان قوى جبارة ، فتزداد اهمية المسائل الاجتماعية والاقتصادية للتقدم العلمي والتقني بقدر ماتزداد تلك القوى وزناً .

ان التقنية الحديثة تيسر على الانسان عمله وتطرح في الوقت نفسه مطالب جديدة امام الأشكال الأكثر تعقيداً للفعالية الانسانية . واذا هي رفعت انتاجية العمل ، فانها تطرح في الوقت نفسه ، بكل حدة ، مسألة اعـادة ترتيب العمل وتغييره . وانها لتوفر المزيد من الوقت الحر ، وتساعد في الوقت نفسه على «قتل»

---

(1) Cybernetique ، وهو ذلك الفرع الجديد من العلوم الذي يدرس الاتصالات والمراقبة في الكائن الحي وفي الآلة على حد سواء . وقد استخدمنا هنا الكلمة الاجنبية كما هي ، في انتظار استحداث تعبير عربي لها . — المترجم —

هذا الوقت الحر في أشكال التسلية المنفعلة . وانما لتحقق الرفاهية وتؤمن الخدمات في الحياة الجارية ، وتعدل في أنساق الحياة أيما تعديل .

وتطرح الثورة العلمية والتقنية ، من جراء التبدلات المهنية والقطاعية والاجتماعية المسببة عنها، عدداً من المسائل الحادة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي، وتضع مطالب جديدة امام تظيم الانتاج ، وتكنولوجيته ، وتوزيعه .ولا يقتصر التطور العلمي والاجتماعي الحديث على تبديل طابع عمل الشغيل من جراء اوتوماتية (٢) نهج الانتاج ، بل يشترط كذلك طابعاً آخر لأوقات الفراغ التي تميل نحو الزيادة دونما انقطاع .

وفي الوقت الحاضر ، اذ تتلاحق الاكتشافات المدوية في ميدان الانتاج وفي طرائقه وتكنولوجيته دون انقطاع ، واذ تشيخ بعض الاختراعات الجديدة بصورة طبيعية ومثلى قبل ان يتيسر لها الفرصة للتطبيق على نطاق واسع في الانتاج ، فان الحاجة تمس الى استراتيجية تقنية اقتصادية مرنة وحصيفة بصورة مخصوصة ، طويلة الأمد ، مدروسة من أجل عشرات السنين لا من أجل سنوات قليلة فقط ، ولا يجوز ان يكون نقطة انطلاقها هذا المظهر الخاص او ذاك من الثورة العلمية والتقنية ، بل الخط العام الجامع لهذه الثورة ، فلا بد من سياسة علمية وتقنية حركية تقابل حركية التقنية ، ومن المهم ان تركز الجهود والموارد بصورة مسبقة بحيث لا تقتصر على قطاع واحد من هذه الثورة هو القطاع الذي يحدد ملامح الانتاج **اليوم** ، بل تتجاوزه كي تشمل القطاع الذي سيحدد هذه الملامح في **الغد** ايضاً .

---

(٢) Automatisme ويقصد بها الانتاج والعمل الخاضعان للتنظيم الالكتروني والمستقلان عن الفعالية البشرية، وهي الطريقة التي ستسود الانتاج في المستقبل القريب . – المترجم –

ولابد للسياسة العلمية والتقنية ، كي تكون ذات فعالية قصوى ، من ان تنهض قبل كل شيء على نظام صارم من المبادىء النظرية الخاصة بتطور التقنية وتحديد قوانين « حركتها الذاتية » ، وإلا كان الانذار الاجتماعي والتوجيه الفعال للنهج الاجتماعية امرين مستحيلين . إن تحليل القوانين الخاصة بالتقدم التقني ، وطابع تفاعلها مع القوانين الاجتماعية والاقتصادية، سيمكننا من الحصول على تفهم افضل لخصائص الثورة العلمية والتقنية الحديثة .

ولن يكون في الامكان تأمين الحل الجذري لقضايا عصرنا الراهن من دون تفسير جدلي لتاريخ التقنية بكامله ، من دون تقدير دقيق لمبادىء حركتها الذاتية . ان القضايا الاجتماعية لتطور التقنية مرتبطة بصورة وثيقة بقضايا تطور العلم بوصفه نظاماً شاملاً . وعلى العموم فانه يمكن اعتبار ذلك ميداناً موحداً للمعرفة ، لأننا نعتقد ان العلم الحديث (والعلوم الطبيعية الخاصة) يمكن اعتباره بمعنى ما تقنية تكوين ، كما يمكن اعتبار التقنية بدورها علماً مجسداً ، «علم المعرفة المجسد» على حد تعبير كارل ماركس .

وهكذا يصبح العلم قوة الانتاج المادي الفعالة كما تنبأ ماركس بذلك . فالافكار العلمية الجديدة تحدث دون انقطاع ثورة في ادوات العمل والمواد الاولية والطرائق التكنولوجية على حد سواء ، ولا يمكن للمفهوم العتيق عن العلم – بوصفه حقلاً مثالياً معزولاً عن الانتاج المباشر للخيرات المادية وعن العلماء والمهندسين بوصفهم شغيلة غير منتجين – ان يوجد في ايامنا الحاضرة الا على اعتباره خطيئة تاريخية . ان عملية الانتاج المباشرة تصبح اكثر فاكثر «علماً تجريبياً ، علماً خلاقاً بصورة مادية ومجسداً للاشياء» (ماركس) ، وهو اتجاه يجد التعبير عنه في المطلب الاقتصادي الذي ينص على ان اتساق تطور

العلم يجب ان تسبق أنساق تطور التقنية كما تحافظ الزيادة في الانتاج على منحاها الصاعد .

وان الثورة العلمية والتقنية الجارية في العالم الحديث تمارس فعلاً ثورياً على سائر مظاهر الحياة الاجتماعية ، ومن المهم ان نميط اللثام عن المنطق الموضوعي لهذه العملية ، ان نبين الاتجاهات الأساسية للتقدم التقني واشكال تظاهرها الاجتماعي. وتلك هي مهمة النظرية الاجتماعية للتقنية . وانها لتتطور حتى « نقطة التقاء » بمختلف العلوم الاجتماعية مع العلوم الطبيعية ، ولا بد لها بالتالي ان تنهض على اسس هذه العلوم الاجتماعية والطبيعية .

« حركة التقنية الذاتية »

اذا شئنا ان نفهم المنطق الباطن لتطور التقنية فانه لايكفينا ان ندرس العلاقات الاقتصادية الخاصة بهذا المجتمع او ذاك ، اخذين قوانين تطور التقنية بعين الاعتبار كحالة مخصوصة ، كوظيفة من وظائف القوانين الاجتماعية والاقتصادية .

ومع ذلك فان بعض المؤلفات الحديثة المكرسة لقضايا الثورة العلمية والتقنية لاتبرح متأثرة بالنزعة البدائية لعلم الاجتماع ، بحيث تعتبر التقنية وظيفة للاقتصاد . وفي القرن الماضي حاول برودون أن يشتق العوامل التقنية من العوامل الاقتصادية ، وبالخاصة ان يعلل ظهور الآلات انطلاقاً من تقسيم العمل . ويلاحظ ماركس بهذا الصدد ان « الآلة تشكل مقولة اقتصادية بقدر مايشكل الثور الذي يجر المحراث مثل هذه المقولة » . ان الانطلاق من تقسيم العمل على العموم للوصول – من ثم – الى احدى ادوات الانتاج ، اي الآلة ، « هو بكل بساطة تهجم على التاريخ » .

ولما كانت التقنية ظاهرة لايمكن إرجاعها الى مجرد ظواهر اقتصادية ، فلا

جد لنا ان نسأل عن القوى الباطنة المحركة لتطور هذه الظاهرة، وقوانينها الخاصة، والتناقضات القائمة في نقطة البدء . ولقد دأب بعضهم على ارجاع هذه التناقضات الى تضادات خاصة ببناء الآلات وبالعلاقة بين الجزء والكل في النظام التقني ، والى الخلاف القائم بين الميادين المختلفة لتقنية الانتاج . بيد ان تلك تناقضات مخصوصة لاتكشف النقاب عن عملية « الحركة الذاتية » التقنية ، هذه الحركة الذاتية التي لايمكن تفسيرها بالتقنية بحد ذاتها . ان التقنية تشغل مكاناً متوسطاً بين الفرد الاجتماعي الذي يحركها وبين الطبيعة بوصفها موضوعاً للعمل . فالتقنية منفصلة عن الفعالية البشرية لا تعدو كونها احدى مواد الطبيعة، عنصراً ميتاً مثل كومة من الحجارة ، ولا تتظاهر في صفة الوسيلة التقنية الا في عملية النشاط الانساني فقط . ولذا لايمكننا ان نتجرد عن النشاط الانساني حين نجرد المنطق الخاص بتطور التقنية ، لأن ذلك يشكل درجة غير مقبولة من التجريد تعمي ابصارنا عن جوهر التقنية ، عن صفتها الاكثر خصوصية .

واذا كانت ادوات العمل مادة طبيعية من جهة واحدة ، فهي مدعوة من جهة ثانية لتكون امتداداً لاعضاء الانسان الطبيعية العاملة ، جزءاً جامداً من الجملة النابضة بالحياة . ولذا فان التحليل النظري للمنطق الخاص بتطور التقنية يجب ان يقوم في دراسة المظهرين الخاصين بهذه العلاقات المتبادلة، وبذلك نتفادى الوقوع في خطيئة التفسير المثالي للقضية بوصفها منتجاً مباشراً للافكار والاغراض البشرية، أو في خطيئة التفسير التقني الضيق بوصفها وسيلة عمل في ذاتها ولذاتها .

ان المنطق الباطن الخاص بتطور التقنية لايكمن مطلقاً في ذاتها ، بل هو مشروط بموضوعها المتوسط ، بعلاقاتها مع الانسان والطبيعة . ولذا كان المظهر الاول لهذه العلاقات المتبادلة، اعني العلاقة التاريخية والمنطقية بين التقنية والاعضاء

العاملة للانسان الاجتماعي ، اي « ادوات انتاجه الطبيعية » ، مظهراً حاسماً في الحقيقة باعتبار ان التقنية انما تدين بولادتها لعمل الانسان . فالتقنية لايمكن ان تعمل بهذه الصفة الا في عملية العمل، الا بالمشاركة مع الفعالية الانسانية العقلانية.

ان تحليل العمل الانساني الابسط هو نقطة انطلاق النظرية الاجتماعية للتقنية . فالانسان يأتي الى العالم صفر اليدين ، بحيث يقتصر فعله في الطبيعة على قوته العضلية المجردة . وان الضرورة التي دعت الى ظهور التقنية تعلل بضعف الاعضاء الطبيعية اللازمة لعمل الانسان وقصورها وعجزها عن اخضاع مادة الطبيعة القاسية للمعالجة المباشرة وتخلفها عن تكييف الطبيعة مع حاجات الانسان . وان هذا التناقض البدني بين تنظيم الانسان الحكمي وضرورة تحويل الطبيعة قد حل تاريخياً بظهور التقنية .

ولا يعني رفع التضاد الى هذا المستوى حذفه ، بل الانتقال الى كيفية جديدة ، ألا وهي كيفية التضاد المتحرك بين الانسان واداة الانتاج في عملية العمل ، هذا التضاد الذي من اشكال تطوره عملية التجسيد التدريجي في التقنية لوظائف عمل الانسان الكادح وعاداته وتجاربه ومعارفه .

وفي اعتقادنا ان الفعل المتبادل لأعضاء الانسان الطبيعية والاصطناعية يقوم على مبدأين : **مبدأ الوحدة الوظيفية** (هذه الأعضاء جميعاً ادوات تعمل على تحويل الطبيعة وفقاً لحاجات المجتمع ، وهنا يقوم منشأ وسر الشبه النسبي بين اعضاء عمل الانسان والوسائط التقنية المحاكية لها) **ومبدأ التكامل** (فليس غرض التقنية نسخ اعضاء عمل الانسان بل تكميلها ، زيادة امكاناتها الانتاجية ، الأمر الذي يفسر الطابع الخاص لتطور التقنية وذاتيتها النسبية) . ان التقنية

تكمل اعضاء عمل الانسان ، لكن الانسان نفسه يكمل التقنية ايضاً بيديه ، بقدرته ، بجملته العصبية ، ويكملها حتى الاوتوماتية .

ان دور الانسان في النظام التكنولوجي هو دور البديل المؤقت ، وهو يتنازل عن هذا الدور شيئاً فشيئاً « للممثل » الحقيقي في عملية الانتاج ، متجرداً عن الوظائف التقنية التي ليست من خاصته ومحتفظاً بالوظائف الخلاقة التي هي من صميمه ، وظائف المخرج .

وان الاوتوماتية الحديثة وسائر معطيات العلوم المعاصرة تبرهن جميعاً على أن تاريخ التقنية بكامله لم يكن سوى **ماقبل تاريخ الآليات الاوتوماتية**، وان الخط الاساسي للتطور التقني يقوم في التحويل الاوتوماتي للتقنية .

وان مايشكل المبدأ الأساسي « لحركة التقنيـــة الذاتية » هو تبديل أدوات اصطناعية بـ « الادوات الطبيعية لانتاج الانسان » ، تجسيد وظائف الانسان العامل في التقنية ، تبديل قوى الطبيعة الجبارة بقوة الانسان .

ويعرف المجتمع ثلاث طرق تاريخية اساسية للجمع بين الانسان والتقنية في عملية الانتاج ، وهي تتصف حسب تسلسلها التاريخي بالعمل اليدوي والعمل الآلي والعمل الاوتوماتي . وينقسم تاريخ التقنية بكامله ، بنـاء على ذلك ، الى ثلاث مراحل اساسية : ١ – ادوات العمل اليدوي (الانسان هو الحلقة الرئيسية في كامل آلية العمل ، ونمط الارتباط بين الانسان والتقنية هو **رابطة ذاتية**) ، ٢ – الآلات (العامل قسم من آلة جزئية ونمط الارتباط هو **رابطة موضوعية**) ٣ – الآلات الاوتوماتية (الانسان يقف الى جانب العملية التكنولوجية ، ونمط الارتباط هنا هو **رابطة حرة**) . ويقوم المضمون الرئيسي للمرحلة الأولى

في تخصص الآلات ، والمرحلة الثانية في التحويل الآلي ، والمرحلة الثالثة في التحويل السيبرنطيقي .

التقنية والطبيعة

انه يهمنا على صعيد النظرية ان نتتبع تطور الجملة التي هي « التقنية ــ الطبيعة » فضلاً عن التطور المنطقي للجملة الاخرى التي هي «الانسان ــ التقنية» . فالتقنية تتطور بتجسيد وظائف العمل من جهة واحدة وبتحويل المادة العذراء والنهج الطبيعية الى مــادة للعمل ونهج تكنولوجية من جهة ثانية ، وذلك بتحويل اوتوماتية الطبيعة الى اوتوماتية التقنية . ان خصائص عمــل التقنية ، كائنة ما كانت التغيرات الطارئة عليها من جراء نشاط الانسان الاجتماعي ، هي خصائص المادة الطبيعية .

وتحدث سائر التغيرات ، في مختبر الطبيعة وفي عالم التقنية على حد سواء ، تحت تأثير انواع التفاعلات المختلفة بين المواد ، هذه التفاعلات التي قد يكون لها ، وفقاً للأشكال الأساسية لحركة المادة ، طابع ميكانيكي او فيزيائي او كيميائي او حيوي . ويمكننا بالطريقة عينها أن نقسم خصائص عمل المادة والنهج التكنولوجية الى ميكانيكية وفيزيائية و كيميائية وحيوية . وعلى الرغم من أن هذه الأشكال جميعاً لاتظهر في الانتاج الحديث في حالة نقية خالصة الا فيما ندر ، فان تصنيفها أمر لاغنى عنه من اجل محاكاة بنية الانتاج المنطقية وتبيان المكان الذي تشغله الخطوات المختلفة للثورة العلمية والتقنية وعلاقاتها المتبادلة وآفاق تطورها .

ان كلا من المراحل الرئيسية للثورة العلمية والتقنية تعبر على العموم ، في هذا العصر حيث تسارعت انساق التقدم العلمي والتقني ، عن عملية السبك بين هذا العلم او ذاك وبين الانتاج ، عملية تجسيد المعرفة العلميــة لخصائص المادة

وتفاعلاتها في التقنية ، عملية الاستخدام التقني للأشكال المعروفة من حركة المادة . وما تكون عملية **التحويل الكيميائي** للانتاج ان لم تكن عملية تستهدف تحويل العلم الى قوة منتجة مباشرة ، او لم تكن نتيجة عملية للرابطة الوثيقة بين الكيمياء والانتاج ؟ ويمكننا بصورة مماثلة ان نتحدث عن **التحويل الحيوي او التحويل الفيزيائي** للانتاج ، وهذه الفكرة الاخيرة خاصة تتناول كل منجزات العلم الحديث ، من الكهربة حتى الاستخدام الصناعي للالكترون ،ومن الطاقة النووية حتى أشعة «لازر»[1] .

ان منطق الروابط بين الخطوات المختلفة للثورة الصناعية والتقنية وأفعال الطرائق التكنولوجية التي تقوم في اساسها يتفق مع منطق الروابط القائمة بين الاشكال الرئيسية لحركة المادة حيث يتفوق الشكل الفيزيائي على الشكل الميكانيكي ، لكنه دون الشكل الكيماوي الذي يتخلف بدوره عن الشكل الحيوي. وهكذا تتحقق نبوءة ماركس الذي قال ان العمل الميكانيكي سينحني اكثر فأكثر امام الفعل الكيميائي بقدر ماتتمثل البشرية طرائق التحويل الكيماوي . ان افضلية الطرائق الفيزيائية والكيميائية للتكنولوجيا على الطرائق الميكانيكية تقوم في تشغيلها لخصائص المادة « الخفية » التي تظهر على الصعيد المجهري . فالمعالجة الميكانيكية لاتستطيع ان تبدل سوى شكل موضوع العمل ، اما الطرائق الفيزيائية - وقبلها الكيميائية - فتعني تبديلا جذريا لخصائص المادة ، انتقالها الى حالة كيفية جديدة ، الى مادة جديدة .

---

(١) « Laser » ، وهو اشعاع الطاقة الناجمة عن انتقال الالكترون - سالب الشحنة الكهربائية - من مدار الى آخر **داخل الذرة نفسها**. وان هذا الاشعاع لذو موجات قصار جدا ، من مرتبة **نصف جزء من ألف جزء من المليمتر** ، بحيث يتمتع بقوة اختراق هائلة ، الامر الذي يجعل منه عاملا تقنياً ذا مرونة فائقة جداً (المترجم) .

وبقدر ماتتحكم التقنية بخصائص المادة « الخفية » تتغلغل اعمق فأعمق في العالم الصغير وتصبح نتائجها اكثر فعالية . وان هذا ليثور التقنية نفسها التي غالباً ماتكون تعايشاً لاستخدام خصائص المادة الحكمة والكيميائية . وهكذا لايتحقق التقارب بين الفيزياء والكيمياء في مجال العلم فحسب ، بل في مجال الانتاج ايضاً .

لكنه اذا كانت الطرائق الكيميائية والفيزيا كيميائية هي الطرائق الاكثر فعالية في التحويل التقني للطبيعة غير العضوية ، فلابد من طرائق ذات فعل حيوي وحيوي كيميائي من اجل التحويل الناجح للطبيعة العضوية . ومن المؤكد ان الوثبة المقدرة التي ستتحقق في التقنية هي وثيقة الصلة – منطقاً – بالاستخدام العملي لخصائص الطبيعة الحيوية .

ويسمح علم تكوين الحياة بخلق نمط جديد من الوسائل التقنية التي تحاكي عمل العضوية الحية ، وسوف يكون له فعل حول في الطبيعة الحية ، فيمكننا من السيطرة على الوراثة واستخدام الخصائص الرائعة للعضويات الحية من اجل خير الانسان . وتوجد منذ الآن مخططات لأجهزة « ركبت » فيها عضوية حية طبيعية في جملة تقنية متكاملة .

ذلك ان الفعالية الانعكاسية للعضوية الحية ادق واكمل – بما لايقاس – من اجهزة المراقبة الالكترونية المتوفرة في الوقت الحاضر ، بحيث يمكن عقلانيا ونظريا في وقت واحد ان تستخدم الجهاز العصبي لحيوان ما على سبيل المثال للانتفـاع بالتيارات الحيوية المنظمة للقلب في تنظيم احد الاجهزة التقنية بصورة متوافقة . فالعضوية الحيوانية جهاز متقن الاحكام من التنظيم الذاتي يشرف على عمل القلب والرئتين والجهاز الدوراني ، الخ ، والجهاز العصبي فيها يكتشف كل انحراف

يصيبها ويصححه في الحال . وهكذا فاذا ماجعل الجهاز التقني يفقد نسقه وانتظامه ويعمل بصورة رديئة انعكس هذا الانحراف على جهاز الحيوان العصبي المستطرق مع ذلك الجهاز التقني ، فيعمد الجهاز العصبي الى تصحيح الخلل الواقع في الحال .

ويمكننا القول منذ الآن ان تقنية المستقبل - على النقيض من تقنية الماضي التي كانت في أساسها تقنية انتاجية محضة تنفذ دور واسطة العمل الحكمي - ستستقر في سائر مجالات حياة الانسان ، الفكرية والعاطفية والنفسانية . ان التقنية الحياتية ستظهر في صور اعضاء اصطناعية للفكر والحس والفعالية النفسية توسع من مدى عمل الاعضاء الطبيعية وتحسنه ، ولن تكون الوسائط التقنية للعمل الذهني - هذه الوسائط التي بوشر بخلقها في الوقت الحاضر - بالنسبة لـ والعضوية المقبلة للدماغ الانساني» إلا مثل الفؤوس الحجرية بالمقارنة مع التقنية المقبلة للعلم .

ولسوف يكون الغرض منها ان تكون اداة لمختلف اشكال النشاط الانساني وأن تخدمه بصورة مباشرة او غير مباشرة ، كما انها ستتكيف بأفضل وسيلة ممكنة مع امكانات العضوية الانسانية . ان هذه الترتيبات التقنية ستعمل جميعاً على التركيز بصورة فائقة على نشاط اعضاء الفكر والحس والسمع ، بحيث يكون للجملة التي هي « الانسان - التقنية » شكل جديد تقوم التقنية فيه بدور الاعضاء الاصطناعية للانسان الاجتماعي وتمثل لنا بوضوح تقنية « مؤنسنة » .

فأين هي اذن الاوتوماتية بين مختلف هذه الخطوات التي ستحققها الثورة العلمية والتقنية ؟ ان الاوتوماتية وثيقة الصلة ، بفعل منطق الاشياء بالضبط ، بتطبيق معطيات السيبر نطيقا على الانتاج . لكننا لانستطيع ان نضع الاوتوماتية في صف التحويل الفيزيائي والكيميائي والحيوي للانتاج ، هذه التحويلات التي

لا تتطور بصورة موازية للاوتوماتية، بل تتطور بفضلها. انها تشغل مركزاً مخصوصاً في بنية الانتاج الحديث.

ان الاوتوماتية مرحلة محددة في مستوى تطور أدوات الانتاج نفسها، هذا الشكل التقني الذي تتخذه الطرائق التكنولوجية الخاصة بالفعل في موضوع العمل. ولقد تحققت الطرائق التكنولوجيـة تاريخياً على صعيد ادوات العمل اليدوي بادىء الامر، ثم على صعيد الميكانيكية، واخيراً على صعيد الاوتوماتية حالياً. بيد أن المهمة الكبرى الواقعة على كاهل الفعالية البشرية انمـا تقوم في تسخير اوتوماتية الطبيعة نفسها من اجل خدمتها.

ولا يمكن لطرائق التأثير في الطبيعة الا ان تكون وثيقة الصلة بشكلها التقني. فاذا كانت الميكانيكية هي الشكل الملائم للتكنولوجيا الآلية، واذا كان في المستطاع استخدام بعض الخصائص الفيزيائية للطبيعة (البخار، الكهرباء) على الصعيد التقني بواسطة الميكانيكيـة، فانه لا يمكن في حال من الاحوال الاستغناء عن الاوتوماتية في استخدام العمليات الفيزيائية والكيميائيـة العديدة التي يكتشفها العلم الحديث.

* * *

تحدثنا عن التقنية وعن الاوتوماتية في حالتها النقية اذا جاز التعبير، واستعرضنا المنطق الباطن لتطور التقنية في ذاتهـا. لكننا اعرضنا في هذا الاستعراض عن العـلاقات الاجتماعية التي لا يمكن للتقنيـة ان تتطور الا ضمن حدودها. وان مثل هذا الموقف، المقبول من بعض وجهات النظر فحسب، هو موقف وحيد الجانب بصورة بينة، لأن التقدم التقني يخضع في واقع الامر لفعل المؤسسات الاقتصادية والسياسية والايديولوجية القائمة في المجتمع، هذه المؤسسات التي تتعرض بدورها لتأثير قوي من جانب التقنية. لكن هذا موضوع لدراسة خاصة قائمة بذاتها.

الكتاب والموضوعات

الآداب

سان جون بيرس

Saint John Perse

عندما يكون الشعر منهج حياة

بقلم فاروق يوسف اسكندر
ـ القاهرة

ظاهرة خليقة بالاكبار أن يكون الفائزون بجائزة نوبل في السنوات الاخيرة أغلبهم شعراء.. فانها تدل على ان العصر الحاضر لايزال يعترف بان الشعر أنبل الأعمال الادبية وأصدقها دلالة على المعنى الاعمق في روح الانسان، وأنه ليس عصراً تعساً يمكن ان يدفع شاعراً كهيلدرلين أن يقول صارخاً: «في هذا العصر ما الفائدة من الشعراء؟» ..

---

* الأستاذ فاروق يوسف إسكندر ماجستير في الأدب الفرنسي من جامعة باريس، مدرس بكلية الآداب في جامعة القاهرة.

ولماذا يدهشنا ان يفوز شعراء بجائزة « نوبل » في عصر العلم ، عصر تحطيم الذرة وغزو الفضاء ؟

قد يلوح لنا ان جيلنا أحوج الى المعامل وقوائم الأرقام منـــه الى نفحات الفن ودواوين الشعراء . ومعنى ذلك أننا في مجتمع تسيطر عليه المادة ، او يقصر فيه الفنانون عن تلبية مطالب الانسان الحديث .. أجل مازال الكثيرون بيننا ينظرون الى الآداب والفنون على انها ادوات لهو وترف في عصر الجد والعمل والانتاج ، وانها وسائل لتقضية الفراغ في عصر انعدام الفراغ .. عصر الضرورات الملحة والازمات المتلاحقـة ، والتقدم اللاهث !

فهل تخلف الفن حقاً عن ركب الحياة ؟ **لقد اثبت الشاعر الفرنسي « سان جون بيرس » – الفائز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٦٠ – بحياته واعماله أن الشاعر متصل بحيـاة عصره أوثق اتصـال وأعمقه ، وانه لم ينزل في القرن العشرين للعالم عن مكانه القيـادي ، ولم يعتزل – كما قيل – في كهف او برج عاجي . انما الشاعر – في رأي « جون بيرس » نفسه – كالعالم سواء بسواء:**

« كلاهما صاحب فكر مطلق نزيه ، فلا نحسبهما – كولدي أوديب – شقيقين عدوين . انهما يلقيان سؤالاً واحداً ، وقد وقفا على شفا هوة واحدة ، ولا اختلاف بينهما الا في طرائق البحث .. »

و « سان جون بيرس » اليوم شيخ في الثمانين من عمره ، يقيم – وهو سفير على المعاش – في شبه جزيرة صغيرة ، مدت رأسها الجبلي الصغير من شاطىء فرنسا الجنوبي – قرب طولون – الى امواج البحر الزرقاء ، بعد ان تنقل في اركان الانسانية على تباين اجوائها ، وجمع مشاهدها في قلبه الكبير ، بفضل ثقافته الواعية من ناحية – فقد درس في شبابه الفلسفة وعلم الاحياء والقانون – وبفضل رحلاته العديدة من ناحية اخرى بين اوربا وأقاصي آسيا وامريكا .

وهو في الواقع لايدعى « سان جون بيرس » ، فان هذا الاسم الذي اشتهر واصبح علماً من اعلام الشعر المعاصر .. اسم مستعار قد اصطنعه الشاعر « اليكسي سان ليجيه ليجيه » ليظهر به في دنيا الفن ، أو – بعبارة أدق – ليخفي وراءه حياته الخاصة . ذلك ان **« سان جون بيرس » رجل يؤمن بقيمة العمل الفني كاملة متميزة ، قائمة بذاتها ،**

مستقلة عن سيرة منشئه . ولهذا لايقدم لنا شعر «سان جون بيرس» صورة مباشرة عن صاحبه، ولا يروي لنا ذكرياته، ولا يتغنى بمناسبات حياته السعيدة او الحزينة كما تغنى «لامارتين» و«فيكتور هوغو» و«موسيه» ومن ذهب مذهب «الرومانسيين» . إنه شعر مثالي لايحمل من الشاعر الا فنه، فيتجاوز العرض الزائل والملابسات العابرة، ويرقى الى حقائق التعميم وجوهر الموضوعية .

ويروعنا من الشعر التزام الدقة في اختيار الألفاظ والصبر على تتبع المعاني، مما يخلع عليه طابعاً علمياً رصيناً . أوليس الشعر والعلم صنوين، منذ مولدهما في نفس الانسان، وحتى يشقا في الواقع طريقهما نحو نتائج خطيرة متكاملة ؟ الى هذه الحقيقة ينبهنا «سان جون بيرس» قائلا :

: «كل خلق ذهني هو انشاء شعري اولاً، وعملية معادلة الاشكال الحسية والذهنية تقوم بها وظيفة واحدة — في البدء — هي التي يصدر عنها العالم والشاعر . ومن هذا الليل الأصلي الذي يتلمس فيه الطريق ضريران أكمهان، تزود احدهما بالمعدات العلمية، واستعان الآخر ببروق الحدس وحدها، أيهما يخرج قبل صاحبه، ويخرج وهو يحمل من ذلك الاشعاع القصير قدراً اوفر ؟ لا اهمية للجواب عن هذا السؤال، فالسر الذي يرتادانه سر مشترك . والمغامرة الكبرى التي تخوضها الروح الشعرية، لاتقل في شيء عن الفتوح الهائلة للعلم الحديث .. والشعر ان لم يكن هو «الواقع المطلق» — كما قيل — فانه اقرب اشتهاء يستحضر الواقع، واقرب ادراك يفطن اليه . عند ذلك الحد الأقصى من التواطؤ حيث يبدو الواقع في القصيدة وقد شيد نفسه من الداخل بالفكر القياسي والرمزي، وبالاشراق البعيد للصورة التي تؤدي دور الوساطة بين طرفي التشبيه، وبمجموعة ماتنشىء الصورة الواحدة من روابط فكرية مختلفة، أي ألف سلسلة من ردود الفعل في النفس وتداعي المعاني الغريبة على الخاطر، وبنعمة لغة — في آخر الامر — تنتقل اليها حركة الكون ذاتها، يتبوأ الشاعر منزلة — فوق الواقع — لايمكن ان تكون مرتبة العلم» .

ولايشك شاعرنا الكبير في ان الشعر يتفوق على العلم وعلى الفلسفة بأنه «منهج حياة» تامة غير منقوصة، قبل ان يكون «منهج معرفة»،

فلقد كان الشاعر موجوداً في نفوس اهل الكهوف ، وسوف يظل موجودا في نفوس أهل العصر الذري .. لأنه جزء لايتجزأ من الانسان ...

« .. ومن الحاجة الشعرية — وهي حاجة روحية — ولدت الاديان نفسها ، وبالنعمة الشعرية تحيا الشرارة الالهية الى الابد في زند البشر .. »

وعلى الشعر المعاصر ان يتجاوب مع طبيعة هذه الحياة المعاصرة التي تفتحت سبلها امام الانسان في منتصف القرن العشرين ، فقد اصبح الواقع الذي نعيشه مشتملا على الكون بأمره .. وما أجدر شعراءنا العرب ان يتأملوا اليوم صفات الشعر المعاصر ، ورسالته الواجبة ، كما يبينها لنا « سان جون بيرس » في خلاصة تجربته الطويلة حيث يقول :

« وفاء بعهده — وهو تعمق سر الانسان — يقوم الشعر المعــاصر على ضرورة استعادة الانسان مركزه الصحيح . يرفض الشعر ان يفصل الفن عن الحياة ، وان ينفصل عن الحب المعرفة ، فهو حركة وعاطفة وقدرة وتجديد دائم بغير صوى : الحب بيئته ، والتمرد شريعته ، ومكانه كل مكان .. حيثما كان يسبق الامور ، ومع ذلك لاينتظر جزاء من منافع العصر . اذ انه يستمسك بمصيره الخاص ، ويحرص على حريته الاصلية واستقلاله عن كل مذهب سياسي ..

الشاعر يحتضن كل الماضي والمستقبل وماليس واقع الانسان ومايفوقه معا ، فليشرح جلياً للجميع طرافة ان يعيشوا هذا العصر الهائل ! لأنها ساعة فريدة عظيمة لاتعوض ، ساعة ان يعي الانسان نفسه وعياً جديداً ، وإلا فلمن تنزل عن شرف المثول في عصرنا ؟.. ليست المأساة في التبدل ذاته ، بل ان مأساة العصر الحقيقية هي في هذا البون الفاصل الذي تدعه يزداد بين الانسان الزمني والانسان المعنوي غير المقيـــد بقيود الزمن .. وواجب الشاعر — وهو الذي لم ينقسم على نفسه — ان يشهد بيننا بازدواج سعي الانسان . بذلك يرفع امام الروح مرآة مرهفة تبادر الى التقاط امكانيات البشر الروحية ، بذلك يبين في حاضر العصر وشعاً بشرياً أجدر بالانسان الاصلي . بذلك يوفق بمزيد من الجرأة بين النفس الجماعية في تكتلاتنا الشعبية الحديثة وبين سريان الطاقة الروحية في العالم .. »

وسوف نجد وفاء هذه الامانة الصعبة في شعر « سان جون بيرس » .. عندما نتتبعه في الصفحات التالية من ديوان الى ديوان . ونقف بكل مرحلة من مراحل تجربته النفسية وقفة تجتلي فيها معانيه ونستكشف دنياه . .

* * *

- ١ -

اثناء عطلة قضاها الشاعرفيوادمن وديان « البرانس »بصحبة أمه في عام١٩٠٧ – أي وهو في العشرين من عمره – كتب أولى قصائد ديوانه« مديح Eloges »وظهرت في « المجلة الفرنسية الجديدة » سنة ١٩١٠ مجموعة من تلك القصائد تحت عنوان «للاحتفال بطفولة » .. وفيها يتغنى الشاعر بأفراح صباه ، بتلك السعادة التي كانت تغمره من كل ناحية في جزيرة « جواديلوب » المدارية التي ولد بها – على الشاطىء الغربي من المحيط الاطلسي قرب « كوبا » – فعناصر الطبيعة هناك سخية بجمال سمائها وبحرها ، وعجائب نباتها وحيوانها ؛ ومرابع الخير الفياض ، ومفاخر الاسرة العريقة ، تضافرت جميعاً لتملأ عينيه بآيات بينات ، لاصراع بين هذا الطفل وبيئته الناضرة ، لا كبت ولاثورة، بل تفاهم شامل ، كتفاهم الارض وزراعها ، وتفاهم الشخصيات العديدة التي تعيش في تلك المزرعة من رجال ونساء . من الوالدين والوصيفات الى المربية والساحر الأسود :

« مرحى ! ..

هنالك كانوا يحممونك في ماء الاوراق الخضراء ، والماء ايضاً كان شمسا خضراء ، ووصيفات أمك – بنات مشيقات براقات – يحركن سيقانهن الدافئة بقربك وأنت ترتجف

والجذور العالية المنحنية

كانت تحيي مشروع الطوق الاعجازية ،ابداع القبقاب والهياكل

والنور هنالك ، خصيبا في انجاب مآثر أصفى ، كان يفتح المملكة البيضاء التي لعلي أصبحت فيها جسما بلا ظل ..

أيتها الأضواء ! يا أيتها النعم !

مناديًا كل شيء ، كنت أذكر أنه عظيم ، مناديًا كل حيوان .. أنه جميل وخير

.. اني اذكر الملح ، اذكر الملح الذي لابد قد كحلت به المربيـــة الصفراء ركن عيني .

والساحر الأسود كان يلقي حكمته مقدساً : ان العالم كالزورق الذي يدور ويدور ، فيغيب عن وعيه ان كانت الريح تريد أن تضحك أم تبكي .. »

في آفاق تلك الجزيرة التي صيغ واقعها من خيال فنان ، نعم الصبي بحدب البشر عليه ، وبمهرجان الطبيعة من حوله .. والشاعر يذكر ويثني ويعجب ويهلل ، وما ديوانه « مديح » الا سلسلة بديعة من الذكر والثناء . انه يردد في سمعنا ويكرر نعوتا بعينها مثل : « جميل ، كبير ، عال ، خير ، قوي » وافعالا بعينها مثل : « يلبثق ، يحب ، يضحك ، يغني » . وأسماء بعينها مثل : « فرح ، يسر ، هناء ، عيد » .. والقصائد تصور طفولة مسحورة من خلال مناجاة شخصية ، هي حديث باطني جردته الذكرى من اعراض الواقعية المباشرة . فقد غاص الشاعر في نفسه ليسمع ما هدهد صباه من الحان بعيدة ، وليستعيد مشاهد طفولته وقد باتت اسرارا يكشف عنها الحجاب :

« إني استيقظ حالما .. بأزهار محزومة تحت ابط الاوراق ..

وطفولة النهار الرقيقة .. تهبط الى سطح انشودتي .. يافرحة ليس مايشرحها سوى النور ..

في صمت يمضي الوحيد ..

يا أصدقائي أين انتم يامن لا اعرفهم ؟

.. اطفال يجرون على الشاطىء ! جياد تجري على الشاطىء ! .. آلاف من الاطفال يحملون أهدابهم كالمظلات .. »

ومن ادل عبارات الديوان على منحاه ، تلك التي يؤثر فيها الصبي ان يخرج وحده ، ليختلي بأفكاره وبأصدقائه من كائنات الطبيعة التي تفهمه ويفهمها :

« والآن دعوني ، اني ذاهب لوحدي

سأخرج ، لأن عندي مهمة ! حشرة تنتظرني لكي نتفاوض ..

اني عاهدت الاحجار ذات العروق الزرقاء : دعوني كذلك جالساً ، في صحبة ركبتي .. »

وتنطوي بين أيدينا مشاهد تلك الطفولة الزاهية ، حيث ائتلفت جميع اللمحات ، في إطار متسق من نظم العائلة والطبيعة . لقد اعتاد الصبي في نور الشمس المدارية الوضاح ، أن ينظر الى الاشياء فيراها كبيرة ، نامية ، ملونة ، عجيبة ، فيهيم بها ، ويلازمها ، حتى يستأنسها ويخاطبها بلغته .. او يخاطبنا بلغتنا ، وينقل الينا سحره بها .

انه شعر ينظر الى الكون ويصغي ، ويحلو ويعي ، يلتقط مايدور في الاعماق ، ويزيل عن الحياة اليومية ابتذالها : فالنهار جيد يبهج ، والقوم والبحر والنبات والجماد والطير كلهم احياء ، والدنيا مدارج خلابة ، يرتع في رحابها الحدس وتنتشي الغريزة . انه شعر غير وجداني ، لايتسكع في مساربه العاطفة ، بل يأبى في مقام الذكريات أن يهز نياط القلوب ، ويحرص على تجنب الشجن واستدرار الدموع . وهو كذلك لاينفعل انفعالا عنيفاً ، لايغضب ولا يهجو ولا يثور ، لايسحق موضوعه القارىء ولا يرهقه ، وانما يسعى الى التأثير في النفس عن طريق العقل والتصور ، ويلمس الواقع ليبدله ، وليرتفع بنا شيئاً فشيئاً من محسوسات العيش القريبة الى اجواز خيال يلوح لنا اصدق من الواقع .

في ديوانه الأول « مديح » أدت مجموعة صور موصودة ، متعاقبة ، ثابتة ، كالمناظر التي تسجلها لوحات الرسامين . أما الحركة : حركة الانسان الذي يتدخل بأفعاله في العالم ، فالشاعر سوف يتغنى بها في ديوانه التالي : « أناباز » .

* * *

— ٢ —

« أناباز Anabase » كتــاب ذائع الصيت في الأدب اليوناني القديم . ألفه تلميذ من تلامذة سقراط في القرن الرابع قبل الميلاد يدعى « اكزينوفون Xenophon » كان مؤرخاً وفيلسوفاً وقائداً من قواد جيش أثينا . و « أناباز » كلمة معناها : « الحملة الى الداخل » ، فالكتاب قصة مفصلة لحركة انسحاب « العشرة الآلاف » بقيادة « اكزينوفون » الى داخل ارض اليونان ، اثناء حرب شهيرة الوقائع . وقد استعار « سان جون بيرس » هذا العنوان للملحمة التي تصور لنا أيضاً حملة الى الداخل ، لا الى داخل ارض معينة ، بل الى داخل نفس الانسان ..

ومع ذلك فقد توغل شاعرنا فعلاً في ارض بعيدة . فبين ديوان « مديح » وملحمة « أناباز » اربعة عشر عاماً ، عين اثناءها الشاعر بالسلك السياسي الفرنسي في عاصمة الصين ،

فرحل الى قارة مترامية الاطراف ، وفرضت عليه آسيا معانيها الضخمة كما سبق أن فرضت عليه جزيرته الصغيرة صورها القصيرة المتفرقة .

كان يكفيه في ديوانه الأول أن يرفع رأسه او يحنيه ، او ان يجيل بصره او يثنيه حتى يجني قطوف الشعر الدانية.. اما في «أناباز» فعليه أن ينشيء وان يخلق وأن يشكل، وأن يعمل الارادة والفكر المنهجي ..

ويغلب على ديوان « أناباز » طابع القصة ، مما خيل لبعض النقاد أنه يروي في اناشيده العشرة فصول حملة عسكرية وحضارية، تمعن في قلب قارة — لعلها آسيا — لتفتتح فيها بلداً وتعمره . وعقد أولئك النقاد المقارنات بين ديوان « سان جون بيرس » وما حفظه لنا المؤرخون القدامى من الاحاديث عن زحف الاسكندر الاكبر او زحف « جنكيز خان » . وممن فسروا مراحل « أناباز » هذا التفسير.. الشاعر الكبير الراحل « ت . س . إليوت T. S. Eliot » وقد ترجم الديوان الى الانجليزية وعلق عليه ، ومعروف أنه تأثر بـ « سان جون بيرس » وان كان قد سبقه الى نيل جائزة « نوبل ».

يرى « إليوت » ان تلك القصائد العشر تصور على التوالي :

أولا : وصول القائد الفاتح الى الموقع الذي يريد ان يبني عليه المدينة .
ثانياً : تخطيط المدينة .
ثالثاً : استطلاع الغيب عن مستقبلها .
رابعاً : تأسيسها .
خامساً : نفاد صبر القائد ، ورغبته في الانطلاق الى فتوح جديدة.
سادساً : مشروعات غزو وتعمير .
سابعاً : قرار الرحيل .
ثامناً : اختراق الصحراء .
تاسعاً : الوصول الى حدود إقليم واسع جديد
عاشراً : التهليل والتكبير ابتهاجاً بهذا النصر . إلا أن الرحيل عن طريق البحر ، سرعان ما يحين مرة اخرى .

وإيجاز الديوان في مثل هذه الخطوط المستقيمة القصيرة الواضحة ، يفوت علينا

الكثير من معانيه الحية الشاردة العميقة . اجل ، كتب الشاعر هذه الصفحات في آسيا ، ولكنه لم ينقل الينا صورة آسيا بألوانها الواقعية ، فالقارة التي يتوغل فيها القائد على رأس جيشه أقرب الى فكرة مجردة ، انها اية قارة تستكشف ، وأية صحراء تقطع ، واية أرض تعمر . والفاتح ليس قائداً عسكرياً فحسب ، مثل الاسكندر وجنكيز خان ، بل هو مفكر يفلسف عمله وينقده مثل « اكزينوفون » ، وهو في بعض الأحيان ملهم كالأنبياء الذين قادوا الشعوب في ماضي البشرية .. غير انه على كل حال انسان تختلط قوته بضعفه ، ولعله نموذج للانسان الذي يملؤه الأمل ، ويشعل قلبه الحماس ، فيبني ويدفع الى البناء ، ويفرح بعمل يديه ، ثم يحجم عن اتمام ماشرع فيه ، ويغلبه التردد ، ويصرفه عن اغراء جديد الى عمل جديد ، سرعان ماينصرف عنه طالباً سواه !.. ثروة زاخرة اذن من المعاني النفسية والاخلاقية ضمن هذا التناقض الذي يرصده الشاعر كما يرصد العالم حركات البحر في مده وجزره ، البحر العظيم كالانسان العظيم ..

ها هو ذا الفاتح بجلالة قدره ، يسمع ماتحدثه به نفسه من دعاء الآفاق البعيدة ، وقلق الطموح والثقة بالقوة . انه يحدد مايريد من مناظر الطبيعة ، ويحدد نظماً تشهد له بالمجد ، ويحدد مكانه بين الناس :

« على ثلاثة مواسم كبيرة ، اذ أنصب نفسي ، مشرفاً ، أتوسم خيراً في الأرض التي أسست بها شريعتي ..
.. وأرسيت الأمر على موازين عادلة ..
لكن مشيئتي ان أعيش بينكم ..
.. على عتبات الخيام كل المجد ! بأمي بينكم !
.. ايتها القدرة ، لقد كنت الحادي على طرقنا الفخمة ..
أيها الناس ، ياقوما من تراب ومن كل شكل .. ياقوما خف وزنهم في ذاكرة هذه الربوع .. يامتتبعي المسالك والفصول .. ياباحثين عن موارد الماء على قشرة الدنيا .. »

وأمام عناصر الطبيعة تمتزج في فؤاد القائد الرهبة بالرغبة . وذلك اعتراف بسلطان الرموز والاحلام عليه . فهو دولة الغيب ، ويحاول ان يستكنه الاسرار المقدرة ، وقد ارتاب في أمره :

« إننا نتعجب منك أيتها الشمس ! ما أكذب الأباطيل التي علمتنا بها !
.. والأنهار في مجاريها كصرخات النساء .. »

ويلح الفاتح في السؤال عن مصير عمله ، ثم يستشير شاعره - أبلمس في تلك الاجابات، صدقاً أم كذباً، فيشطر الشاعر - وهو المكلف بتخليد ذكر البطل - في أسطورة هذه بدايتها - إلى المدح والمبالغة قائلاً :

« روحي مترعة بالكذب ؟ كالبحر البارع القوي وقد استولت عليه البلاغة .

والشك يعلو على واقع الاشياء ، ولكن اذا استعذب امرؤ حزنه » فليفضح في النور ، ورأيي ان يقتل .. والا حدثت فتنة .. »

بتردده ، يثبت القائد ان هناك قوى خفية أعظم منه، حتى اذا عاوده الاطمئنان، يبدأ حركة الانشاء : وهي حركة جامعة شاملة يشترك فيها الأمير ، والجندي ، والكاهن ، والشاعر ، والعالم اللغوي أيضاً .. حركة محكمة النظام والتنسيق ، يعرف فيها كل امرىء مكانه ، ويباشر اختصاصه :

« .. تأسيس المدينة . حجر وبرونز .

.. أشغال أسر الماء الحي في الجبل .

وورود أفواج الدقيق .. والحدادون سادة نيرانهم .. مؤسسو الملاجىء .. توزيع المباني .. الممرات المقامة من الحجر الأسود وأحواض الظل الزرقاء للمكتبات ، أبنية رطبة جداً لعقاقير الصيادلة . ثم يفد أصحاب البنوك الذين يصفرون في مفاتيحهم .. »

تلي ذلك الاحتفالات بافتتاح المدينة ، وإسكان طوائف المحتلين :

« غدا الأعياد والهتافات .. ورجال مصلحة المجاري وهم يذهبون عند الفجر بقطع كبيرة من سعف النخيل الميت .. المدينة الصفراء، في خوذة الظل ، ومآزر بناتها في النوافذ . »

ويكلل هذه الفرحة حفل رسمي اخيراً يشهد فيه القوم احراق جسد امرأة في الزمل!

والآن وقد رسخت قواعد المدينة ، واستقرت اوضاعها ، لايلبث القـائد حتى يشعر فيها بوحدته بين أولئك الذين يحبهم . وربما أضمر لهم البغض في قرارة نفسه ، لأنهم سبب وحدته الممضة . وتراوده أحلام الغلبة فتزين له الاقدام على غزوات جديدة ، وتلومه على قعوده همة جديدة :

« لقد راحت خواطرنا تعسكر تحت أسوار اخرى ..

.. اني اكرهكم جميعاً في تلذذ ..

ياللوحشة ! لم أقل لأحد ان ينتظر .. لسوف أمضي في هذا الاتجاه ، حيثما أريد .

.. والارض في حباتها المجنحة ــ مثل شاعر في عباراته ــتتنقل .. »

والنشيد السادس من ملحمة « أناباز » اهزوجة حية،يتدفق فيها الثناء على الاعمال التي تمت ، والأعمال التي يراد لها ان تتم : فالعمل ينجب الأمل ، والأمل ينجب العمل . حلم حققته القدرة ، وقدرة يثيرها الحلم . فتح مبين ، يفضي الى فتح مبين. ليست«أناباز» ملحمة بطولة ثابتة ، ظافرة ، مؤكدة في خطواتها على طول المدى ، بل هي ايضاً صورة الهويق والريث والسكينة بين مرحلة ومرحلة ، والرضا الخصب الجوهري الذي ينبع من واقع مؤكد ويهدي الى ممكن منشود :

« وفرة ورخاء وسعادة !

أجل ، تاريخ للبشر ، نشيد قوة للبشر ..

أعمال بلا عدد ولا حصر ، ارادات قادرة ومبذرة ..

لسوف تروننا ، في تصرفاتنا ، ياجامعي الأمم .. وعشرين شعباً تحت شرائعنا ناطقين بجميع اللغات .. »

وتنتهي الملحمة بنشيد يلقيه القائد ، بعد ان يستعرض ويكرم رفاقه في الجهاد، على تباين مراتبهم وأعمالهم :

« أوقفت حصاني تحت شجرة مليئة باليمام والهديل ، وأطلقت صفيراً أصفر .. سلاما لأولئك الذين اذ حان موتهم ، لم يشهدوا قط هذا اليوم ..

ولكن اخي الشاعر ، قد بلغتنا عنه أخبار . لقد كتب ايضاً شيئاً حلواً جداً وبعض الناس قد اطلعوا عليه .. »

وتطوي ديوان « أناباز » . انه ملحمة فذة تختلف في موضوعاتهـا عن الملاحم المأثورة بأنها لاتروي بطولة تمت وقائعها في تاريخ اسطوري فحسب ، بل تروي ارادة البطولة كما تحفز الانسان في كل زمان ومكان ، تروي قصة الجرأة والمغامرة الكبرى،قصة القوة في إنطلاقها لاستكشاف المجهول ، واخضاعه لشريعة رجل من الناس يهيم في الأرض مشوقا غلابا ، ولكنه ملك بلا مملكة ، لايكاد يستقر حتى يرحل ، ولابداية لحركته او نهاية ، انه الانسان يريد ان يسود وأن يجاوز كل حد .

* * *

– ٣ –

وانقضت سبع عشرة سنة ، لزم فيها « جون بيرس » الصمت ، لانشغال الكلام بواجبات وظيفته الرسمية الخطيرة في وزارة الخارجية .. ثم انتزعته الحرب من منصبه ومن وطنه المحتل . سافر سراً من ساحل فرنسا الى انجلترا ومنها الى الولايات المتحدة . وأملى عليه ذلك الفراق الأليم ديوانا عنوانه « منفى »

وليس هذا الديوان – الذي نشر عام ١٩٤٢ – من شعر المناسبات ، يئن فيـه الشاعر ، ويتحسر على بلاده ، ويهجو محتليها ، كما ألفنا أن تكون المنظومات الوطنية الخطابية الغنائية . كلا ، ان « بيرس » لايكاد يشير الى محنته الخاصة ، وليس الشعر لديه تنفيسا عن شجن او توسلا الى قضاء حاجة . ليس وليد المصادفات يتطفل على الحياة وينقضي بانقضاء الظروف ، بل انه الحياة ذاتها ، بأعماقها الفلسفية التي تمتد وراء الطبيعة وتشتمل على جوهر الانسان . فالمنفى هنا ليس منفى الشاعر شخصيا في امريكا ، بقدر ماهو إغتراب الشاعر عن عصره ، وترحله بين الفاظه وابياته ، وبين مفاهيم المجتمع ومعاني الوجود . قد تكون في هذا الديوان نبرة إنفعال جديدة لم نسمع مثلها في قصائد « مديح » او « أناباز » ولكن التأمل الخلاق يسمو بانفعال « بيرس » دائمـا الى مراقي الحكمة ، ويتغلب على تلك العاطفة السهلة التي جرفت كثيرا من الشعراء . وكما صمد الشاعر لمحنته الزمنية ، فانه منذ البداية يأبى على شعره النبيل ان يجزع وان يلهث وان يولول :

« ابواب مفتوحة على الرمال ، أبواب مفتوحة على المنفى ..

المفاتيح من اهل المنارة
يامضيفي ، دع لي بيتك الزجاجي في الرمال..
سواي يقبض في الهيا كل على نواصي المذابح الطلية ..
أما أنا ، فمجدي على الرمال ، مجدي على الرمال ! .. وليس تشرداً ،
ايها الراحل ، ان تصبو إلى اشد الاوكار تجودا لكي تجمع في خلجان المنفى
قصيدة عظيمة ولدت من لاشيء ، قصيدة عظيمة ضيغت من لاشيء ..
اصفري ، يامقالع خلال الدنيا ، أنشدي ياقواقع فوق المياه !
لقد بنيت على الهوة ورذاذ الموج ودخان الرمال. وسأنام في الصهاريج
وفي السفن الجوفاء .. »

في هذه السطور الأولى ، يغالب الشاعر اذن احساسه بالهزيمة والضياع ، ويلوذ بكبريائه في مواصلة بناء مجده ، فهل بنيت بناءه على هوة البحر الفاغرة ، وقطرات الموج المنثورة ، وحبات الرمال الواهية ؟

هيهات .. ان الفناء يلاحق أعمال الانسان ، والكل باطل :

« حيث تذهب الرمال الى نشيدها ، يذهب أمراء الى المنفى ..
حيث كانت القلاع مشدودة عالياً يذهب أرق مايهف حلم صانع الأوتار .
وأن كل شيء في العالم باطل عنده ، ذلك ماحكاه لنا ذات مساء ، على
ضفة العالم .. عسس الريح في رمال المنفى ..»

ولكن الألم الذي يصهر القلب ، يصفيه ولا يبقي فيه غير الحكمة .. وانجلت الحقيقة لـ « سان جون بيرس » وهبط عليه عالم جديد فأدرك انه منفي لامن وطنه فحسب ، بل منفي من الحياة بأسرها منذ حل بها ، بين آثار الماضي وبواكير المستقبل . انه غريب عن كل شيء ، فالانسان ابداً عابر مغترب ، ألم يجمع قوافل الفاظه ؟ ألم تكن الغربة في « أناباز » حال البطل الفاتح ؟!

ومع ذلك ، لايلبث الشاعر حتى يجد انه ليس وحيدا ، فهناك معه « أمراء المنفى » اي اولئك الذين يعملون في صمت وتواضع بعيدا عن الأضواء ، رغم نفع مايؤدون للمجتمع من خدمات: رب فلكي يهيم في منتصف الليل على شرفات مرصده ليسجل

أسرار كوكب يظهر ، وربان سفينة عاكف على خرائطه وقد أحدقت به الأعاصير ، وعامل يسهر في منطقة مجدبة على سلامة أسلاك البرق وطرق التواصل .. وهذا حارس المنارة ، وهذا أستاذ فقه اللغة يحمل النجدة إلى ضحايا الحوادث اللفظية في خفاء ، وغيرهم ، ممن يأنس اليهم شاعرنا « بيرس » .

وفي النشيد السابع والأخير ، يصارع الشاعر حنينه ، كما صارعه في البداية ، وينتصر عليه ، ثم يستأنف سيره ، سير الفارس على شاطىء البحر الحر الذي لا يستطيع غاصب ان يملكه :

« يالغة المنفى صراحا ! ما أبعد الشاطىء الآخر حيث تسطع الرسالة . جبهتا امرأتين تحت الرماد ، تفتش عنهما نفس السبابة .

هل كنت نائماً في تلك الليلة ، يامهجة جبلت على الابتهال عبر الدنيا ، ياأم المنفى ، حينما في مرايا الغرفة انطبع وجهه ؟

ليس المنفى من امس ! ليس النفي من امس

.. اصحت ايها الضعف ، وأنت اعطر العروس في الليل كأنه لب الليل ذاته .

وأينما همت على الشطآن ، أينما همت على البحار ، احتمي ايتها الرقة ..

لسوف أستأنف سيري .. محاذيا البحر الذي لا يملك ..

أن أفكارنا تعدو على طرق عظيمة . والبرق يفتح لي مجرى غايات أوسع ، وعبثاً تغير العاصفة حدود الغيبة .

.. أولئك الذين يشتمون الفكرة الجديدة ، في نفحات الهاوية ، وأولئك الذين ينفخون في الابواق على ابواب المستقبل ..

ليعرفوا .. ان في رمال المنفى تصفر العواطف العالية المطوية تحت سوط البرق .. أيها الضال تحت ملح حزيران وزبده ! أبق بيننا على القوة الكامنة في نشيدك !

غداً .. سوف نغمر محض الغضب . »

* * *

— ٤ —

ونشر بعد ذلك « سان جون بيرس » قصيدتين مستقلتين ، ظهرتا في مجلة « الادب الفرنسي Lettres Françaises » التي تصدر في بونس آيرس بالارجنتين ، قصيدتين يتجاوب فيهما نفس المعنى الكبير الذي بثه في ديوانه « منفى » نشر احداهما في عام ١٩٤٤ بعنوان « امطار » والأخرى في العام التالي بعنوان « ثلوج » . فقد لمس الشاعر في المطر والجليد جوهر مايشعر به من الوحدة والشعور ، وعكس على عناصر الطبيعة صورة اغترابه الدائم وتنقل الانسان بين ابعاد فانية .

لقد كانت « أناباز » ملحمة انسان اعتزل زمانه وأوغل في عالمه الداخلي ، ومضى ينظمه وفق مخطط رسمه لنفسه ، غير حافل بما يدور في الخارج من حياة العصر والوطن والمجتمع ، بطل مترف مستقل لايبالي بغير ارادته الخاصة . ولكن الزمان لم يلبث أن انتقم .. وهنا ثاب شاعرنا الى معنى التضامن ، رضي ان يشارك الانسانية محنتها ، واصبح شعره تعبيراً عن مأساة عصرنا ونقائضه : يجتاحه الشك في القيم المنهارة فيصمد مؤمناً بقيمة العمل الفني . وأمام الحرمات يسمو الى قمم الزهد والتعفف ، ويتخذ من الزهد والانصراف موضوعاً أثيراً لايزهد فيه ولاينصرف عنه . لايتخلى عن كرامة الانسان ولايتهافت بل يحدث البشرية — بمنطق سقوطها — عن معجزة .

ونستطيع في هذا الطور أن نحدد موضوعات « سان جون بيرس » بثلاثة : الانسان في منفاه ، وعناصر الطبيعة التي ترمز لهذا النفس ، والشعر الذي يجمع بين الانسان والطبيعة في حركات متوازية . وسرعان ماتمتزج هذه الموضوعات الثلاثة امتزاجا تاما في ملحمة جديدة عنوانها « رياح » .

* * *

— ٥ —

ظهرت « رياح » عقب انجلاء عاصفة الحرب العالمية سنة ١٩٤٦ . ولقد تتبعنا انتاج « سان جون بيرس » فرأينا كيف ان في ديوانه الأول « مديح » تجميعاً لذكرياته الأولى في صورها التلقائية المتفجرة ، اللذيذة ، وكيف نضج الشاعر فأتم في رجولته السيادة على دولة نفسه الداخلية مع بطل حملة « أناباز » ، ثم فطن الى مأساة عصره فأنشد في مهجرته آلام الجيل المنكوب وآمال الفن الخلاق . والآن يبلور « بيرس » تجاربه السابقة

ويؤلف منها ملحمة طويلة تشمل كل عناصر الوجود ، وتضم أبعاد الكون السحيقة .

بين أيدينا الآن هذه الملحمة التي بلغت أبياتها وخمسة والفاً . في البدء ، يتخيل الشاعر قصة الخليقة ، قصة الظلام والنور والماء واليابسة ، ويتتبعها حتى الزلازل الطاحنة التي تفوق مدارك البشر .. و « سان جون بيرس » لا يتقيد بالحدود التي وضعها علماء الزمان والمكان ، أي علماء الفلك والجيولوجيا وأساتذة ما قبل التاريخ . فالكون عنده حركة مستمرة ، واستمرار متحرك . وإذا كان لهــذا الكون روح تسري فيــه وترمز اليه فانها الريح ..

الريح قوة جبارة، هبطت علينا من محل زئير وهدير لا يرقى اليه الخيال، ومنحتنا غريزة الارتقاء ، وارادة التقدم :

« .. كانت قوى عظيمة جداً آخـذة في النمو على جميع المسالك في هذا العالم ، وكانت تهبط من منابع اعلى موقعاً من اناشيدنا ، في محل سباب وخصام ..

وخلال شر اضطرابات الروح ، مضت ترسي اسلوباً جديداً للعظمة ، ارتفعت فيه افعالنا المقبلة ..

فبعد ان ميزت من ميت الاعمال حيها ، ومن احسنها ماهو فذ ، هاهي ذي قد جعلت تنعشنا بحلم من الوعود .. »

والريح التي تزجي الينا الوعود ، قوة مطلقة لا نعرف معها الوقوف عند حد ، ومحاولة الاستقلال عن الريح عبث وضلال، مادام للريح يخضع النبات والجبل والكوكب الذي يحملنا . واذا كان ذلك الطاغية العاتي سيدنا ومولانا ، فشعارنا العنف والاعتداد والشطط :

« سلامتنا في العجلة وابطال ما كان . ان اللهفة في كل مكان .

اننا احسن قضاء لأمورنا بالعنف والاضطهاد .

مبدأنا التحيز ، والانشقاق عرفنا .. »

والريح تحرص على تنفيذ شريعتها ، فتنقسم وتتعدد لكي تحكم بنفسها كل اقليم . لقد عصفت الريح بالماضي، فتلاشت الذكريات ، فلينشد الشاعر ماطاب له الانشاد غير أنه لا يكاد يفهم قريضه :

« ايتها الذكريات ، أيتها الذكريات ، فليصنع بك مثل احلام الحالم عند انحسار أمواه الليل ..

ان الريح شديدة ! والجسد قصير !

أيها الشاعر ، ياناطقاً بلغتين كلما وقفت بين أشياء ذات حدين ، وأنت نفسك نزاع بين كل ماهو موضوع نزاع .. ايها الانسان المتكلم بالتورية .

ولكن الريح ، آه ! الريح ! ان قوتها بلا غاية ، وبنفسها مفتونة .

نحن نمضي ، وظلالنا .. وأعمال عظيمة ، ورقة ورقة ، اعمال عظيمة تنشأ بصمت في مثاوي المستقبل .. »

والريح التي لايقتنع الشاعر بحكمة عنفها ، تسيطر بالعكس على العالم وتلهب فكره ، والعالم هنا فاتح يشبه بطـــل « أناباز » في ايمانه بالتقدم ، يبني ذن بدوره « برج بابل » اي مجتمعا جسيم الكتلة وان كانت أسسه الانسانية — من تفاهم وتعاون — ضعيفة مهملة .

وتتحدد في هذا المجتمع وظيفة الشاعر ، واليوم وقد أصبحت لغـة العلماء المتخصصين لغة غامضة مستغلقة على افهام الناس ، سوف تبدو لغة الشاعر هي اللغة الوحيدة المفهومة .. مهمته اذن ان يتوسط بين علم العلماء وانسانية الناس :

« فليسمع الشاعر صوته ، وليواجه الرأي !

انما الشاعر ايضاً بيننا ، على قارعة طريق أهل عصره

سائراً سير عصرنا ، سائراً سير هذه الريح العظيمة

شغله بيننا : ايضاح الرسائل .. لا المكتوب ، بل الشيء ذاته . الشيء حيا وفي تمامه .

حفظ الاصول ، لاحفظ النسخ .. وخط الشاعر يتبع محضر الجلسة

والحق ان عصرنا يعوزه الشعراء . واهل « برج بابل » الحديث قد باتوا احوج الى اللغة الشاعرية الرقيقة منهم الى رسوم المهندس ومعادلات الرياضي . فليدق الشعراء نواقيس الخطر ! ليبينوا كيف انهارت القيم القديمة . فقد غدا مضمون الحرية في كثير

من البلاد استعبادا وتسخيرا .. وغدت المعـامل متاحف للبشاعة والأهوال . ذهب عن الوردة أريجها ، وانعدم طعم الحياة . وضل الانسان عن نفسه بين طلاسم الدهر والتاريخ .

تلك هي ملحمة القرن العشرين ، عصر الرياح السافية من كل صوب ، عصر القوى الجبارة التي تعبث بالقيم ، وتتفخ فيهم جنون السرعة والعنف . انها بذلك ملحمة الصراع بين عوامل التعرية والعدم .. ومعاني الخير والبقاء .

واذا كان « سان جون بيرس » اثناء اقامته في آسيا قد تأثر في كتابة « أنآباز » بطبيعة الشرق العاكف على التأمـل البـاطني ، فقد عكس في ديوانه « رياح » — من حيث لايدري — صورة الغرب الأمريكي الذي حل فيه ، صورة حضارة مادية مندفعة الى الأمام ، مندفعة الى الخارج بقوة الآلة .. وهي الصورة الـتي تغلب اليوم على عالمنا المهتز ..

* * *

— ٦ —

وبعد ان سار « سان جون بيرس » مع اهل عصره في مهب « الرياح » وانتهى بالانسانية الى حيث وجدت نفسها الشاردة ، هاهو اذ يقف بنـا امام رمز العظمة والعزة .. امام « البحر » في قصيدة طويلة النفس نشرها في عام ١٩٥٠ مطلعهـا : « وانت ايتها البحار » :

« وأنت أيتها البحار ، يامن كنت تقرأين في احـلام أرحب ، او كنت تتركينا ذات مساء لمنابر المدينة ..

انه لأعرض ، ياشعب ، مجلس المستمعين منا اذا انعقد على سفح أجل لايتدهور : البحر الفسيح الأخضر مثل فجر في شرق البشر ..

البحر المعيد على درجه كقصيدة من حجر

اغري ، ايتها النسمة مولدي !.. ومـاح الضحى تهتز على ابواب الفرح . طبول العدم تذعن لمزامير النور . والمحيط من كل صوب ، وهو يطأ حمله من الورود الميتة

على أسطحنا الجيرية يرفع كالسلطان رأسه !»

هذا البحر المهيب شيء اعظم من الصحراء التي اشاد بها « سان جون بيرس » في ملحمة « أناباز » لأنه يحيط بجميع اقطار العالم وجميع ممالك التاريخ ، ولأنه أفق خصيب مفتوح لأحلام الشاعر الذي يرشد البشر ، واطماع القائد الذي يبحث عن سلطان ، انه البحر ميدان القدرة وساحة الحرية :

« لقد أقبل البحر علينا من فجر التاريخ في موكب حاشد من أسلافنا :

بأمرائه وأوصيائه ، ورسله المكتسين بالفخامة والمعدن ، وكبار ممثليه مفقوئي العيون ، وأنبيائه .. ورعاته ، وقراصنته ، وموضعات ملوكه الاطفال ، وشيوخ بدوه في منفـــاهم ، وكبار مغتصبي العروش ومؤسسي المستعمرات النائية .. وكبار حكامه الرحل على صهوات الخيول في مزارع الأرز .. بكل قطيعه من الوحوش والآدميين ..

البحر المتحرك : الذي يتخذ طريقه بانزلاق عضلاته الضخمة الهائلة ، أقبل علينا على حلقات أفعوان أسود ..

شيء عظيم جداً يزحف نحو المساء .. »

تتلاقى في صورة البحر اذن عدة رموز جمعها الشاعر ، قد تتنافر حيناً بيد أنها تتضافر في النهاية . فالبحر يرمز الى قوة شاسعة حالية وابدية . انه مادة تمتد في المكان والزمان معاً . ويمثل معنى « ميتافيزيقياً » . وتلك قدرة توحي بالمعرفة ، وتبث في القلوب حكمة الاجيال وحكمة الكون ، فتعلم الانسان الايمان بنبل الانسانية .. و « بيرس » في ملحمته يرجو ان تمتلىء الصدور بتلك النفحة الكريمة ، بهذه الروح العالية التي يجيء تأصلها في منابت البشر ، ويؤكد بقاءها منذ الطفولة في اغوار باطنهم رغم ضعف الشيخوخة التي آلوا اليها ، وهكذا يطمئن اهل زمانه انهم مابرحوا أهلاً لحياة فاضلة سامية .

* * *

ونشر « سان جون بيرس » اخيراً - في عام ١٩٦٠ - قبيل ان تتوج اعماله جائزة « نوبل » ديوانه « تاريخ » Chronique مستعيراً هذه الكلمة اليونانية الأصل التي تعني « الزمن » .. والتي درج مؤرخو القرون الوسطى على ان يعنونوا بها كتبهم . تلمبيح منه إلى القدم .. الى عمر الانسان الذي طال ، فقد اختار الحضارات الاولى ، والعصر الوسيط ، وامتد اجله الى ازمنتنا الحديثة ، والشاعر اذ يؤرخ حقب الدهر ، انما يؤرخ نفسه المخضرمة أيضاً : فهو من مواليد القرن الماضي ، وهو مثلنا من شهود تحطيم الذرة وغزو الفضاء . والديوان يردد لغة عرفناها في قصائد « أناباز » و « منفى » ، لاسيا لفظتي : « آسيا » و « الغرب » ، واننا لنذكر كيف كانت حياة الشاعر في الزمان والمكان بين هذين القطبين الجامعين ، المحيطين بسائر البشر . ومن هنا كانت المطابقة النفسية بين التجربة الشخصية والابعاد الانسانية :

« ايها العمر الكبير ، لقد اقبلنا من كل ضفاف الارض . جنسنا قديم ، ووجهنا بغير اسم . والدهر يعرف مايطول ذكره عن جميع البشر الذين كنا اياهم .

وماذا نعرف نحن عن الانسان ، شبحنا . وهو متدثر بعباءته الصوفية ، محجوب الرأس بقبعة اجنبي عريضة .. »

ويتدرج الشاعر من معنى المجهول وصورة الشبح ، حتى يصل الى الحديث عن الموت الذي يسعى الى دولتــه الاحياء طرا ، ويخلفون في رحابه أعمالهم ، وينتهي بين يديه مطافهم :

« وراءنا ، من هناك ، على منحدر السنة ، كل الارض ، ذات الثنايا المستقيمة ، وقد شدت من كل ناحية كعباءة الراعي الفضفاضة حتى ذقنه معقودة . .

وأعمالنا تنأى عنا في بساتين بروقها . . »

لقد بلغ « سان جون بيرس » الثانين من عمره . فهل عبثا سار في هذا الدرب

الطويل ، وهل عبثاً نسير ؟ ماوزن اعمالنا التي تنفق الأيام في اتمامها ؟ ان الشاعر كلما تقدمت سنه ، ودنا أجله ، وابعدته الشيخوخة عن نشاط السعي وتحقيق المآرب ، راودته ـــمع الحسرة على مافات من نضرة الشباب ـ ثورة على الفناء حكيمة . انه يأبى ان تمر دون القيم الانسانية هوة العدم . يأبى ان يقيس حياته بمرور السنين : فالزمن ينقضي ويذهب ولكن الفعال والمعاني جوهرية وباقية :

«أيها العمر الكبير ، لقد كنت تكذب : طريق من الجمر وليس طريقاً من رماد ..

الى أي شطط بعد ذلك تجوي هنا ، متوقدي الوجوه ثم النفوس ! ان الزمن الذي تقيسه السنة ، لايصلح مقياساً لأيامنا . لاعلاقة لنا قط بالأدنى أو الأسوأ . انما لنا الزحام الالهي في وثبته الأخيرة ..

أيها العمر الكبير ، ها نحن اولاء على طوقنا التي لاترقمها حدود . قرعات السوط على كل الرقاب ! وصرخة عالية جداً فوق الربوة ! وهذه الريح هبت من غير مكاننا ضدنا ، وهي التي تحني الانسان على الحجر كالمحراث على الطين .

سوف نتبعكما ، باجناح المساء .. وباحملقة العين في احجار البازلت والرخام ! ان صوت الانسان على الارض ، وبد الانسان في الحجر وتشدنسراً من ليله ، ولكن الله يصمت في المعدود ، ولم ينصب سريرنا في البسيطة ولا في الزمان المديد ..

ايتها المنية التي تزينت بقبضة العاج ، عبثاً تقاطعين دروبنا التي حدبت بأكوام العظام ، لأن طوقنا يرمي الى أبعد .

بقي أن نقول هذا : اننا لنحيا بما وراء الموت ، بل وبالموت سوف نحيا .. بمملكتنا من عهد ما قبل المساء ، تلك الابهة التي ينمو بها عصر نحو ذروته » .

هكذا يرتفع « بيرس » بالقيم الى درجات الخــلود . ويرتفع انشاده الى نبرات التسبيح . انه الآن في حضرة الروح . ويستولي عليه الخشوع ، وهو يلقي للانسان المعاصر بكلماته المؤثرة في نبل جم وتواضع رقيق ، هما صورة الانسان الجديد ازاء مصيره :

« القربان ، ايها الليل ، الى اين نحمله ؟ والحمد ، اين نودعه ؟ اننا نرفع حتى اقصى ماتمتد اليه سواعدنا ، على صفحة ايدينا ، مثل اجنحة افراخ

وليـدة ، قلب الانسان الذي غشيه الظلام ، حيث كان الشر وكان التحسس وكل ذلك الحب الذي لم يبخل ..

انصت ايها الليل — في افنية الصحارى وتحت القناطر المنعزلة وبين الاطلال المقدسة وتفتت اعشاش النمل البالية — الى الخطوة الواسعة الجليلة تخطوها النفس بلا حوج .

كأننا على البلاط البرونزي وحش بهيم ..

أيها العمر الكبير ، ها نحن أولاء ، فقس قلب الانسان »

المراجع

١ — دواوين « سان جون بيرس » :

Eloges. - Anabase - Exil, suivi de poéme a l'Etrangère, Pluies, Neiges - Vents - Amers - Chronique. (Gallimard)

٢—دراسات :

- Gaëtan Picon : Panorama de la nouvelle littérature francaise. Gallimard, 1949.
- Marcel Raymond : De Baudelaire au Surréalisme. J. Carti, 1952.
- Maurice Saillet : Saint - John Perse, poète de gloire. Mercure de France, 1952.
- Alain Bosquet : Saint - John Perse. Seghers, 1953.
- Pierre Guerre : S. J. Perse et l'Homme, Gallimard, 1960.
- Christain Murciaux : S. J. Perse - Editions Universitaires, 1963.
- Les Nouvelles Littéraires. 3 - 11 - 1964.
- La Nouvelle Revue Francaise, janv. 1965.

• مقـــال للدكتور عبد الرحمن بدوي في العدد ٤٨ من مجلة « المجلة » الصادر في ديسمبر ١٩٦٠

النجّار والبغدادي

في أدبنا الحديث

للسيدة وداد سكاكيني

فقدت دمشق منذ عشر سنوات أديبين من مثابتها الشعبية الواعيــة ، تلاقيا في العصر والموهبة والحياة الوطنية والفكرية، وتفاوتا في العمر والثقافة والأداء. احدهما محمد النجار الذي كان موظفاً بوزارة الصحة وناشراً في بعض الصحف الدمشقية على طريقة « الريبورتاج» أخبار المجتمع الذي عاش فيه مستطلعاً ومتتبعاً، وكانت في اخباره على اصطلاح أيامنا تهاويل وفضائح لحياة الذين عرفهم بذواتهم وحوادثهم ، أو ترامت اليــه أنباؤهم وأهواؤهم في المجالس الخاصة والعامة . وقد عد النجار ماقدم في صوره الصارخة بألوانها وخطوطها، قصصاً أدبية واقعية ، وكانت بوادر القصة الحديثة في

بلادنا تلوح في آثار الموهوبين المبكرين . فتلقى بعض النقاد تلك الصور بالتجهم والامتعاض ، لكن اصدقاء النجار وفيهم كاتب المقدمة لمجموعته المنشورة هددوا ببلباقتهم من نقمة الذين آسفهم التشهير بحوادث الذين عرفوهم ، فقد حسبوا ان في التجريح والشماتة مايسيء الى سمعة المجتمع والوطن ، فقال مقدم الكتاب : «في كل شعب مجرمون ومرضى ، وفي كل شعب عاشقون ومغامرون، وفي كل شعب خبثاء وماكرون » . ورأى النقاد في تعبير النجار ركاكة وابتذالا يتأبى عليهما الأدب واللغة وتتجاوز عنها الصحافة في ذلك الحين، فطالبه العجلاني كاتب المقدمة « بأن يقوم اداءه ويستبقي فيه هذا الشيء من العامية لأنه يكسبها حلاوة ونداوة وحرارة »[1] .

وهذا مثال من تعبير النجار في الصور التي سماها قصصاً من صميم الواقع : « واذا كنت أحس في نفسي هذا الضعف البشري، فمن باب أولى تقديره في غيري، على أني لما كنت أحرص على صفاء العلائق فيما بينك وبين صهري، ولما كان تنازلك عن حق الجلوس في نافذتك يسيء أسباب الراحة والهناء لغيرك ويدل على حلم ونبالة واخلاق رفيعة ، لهذه الاعتبارات جئت إليك أبسط هذا الاقتراح مع العلم بان رفضك له لاينفي مشاطرتي إياك الحق كل الحق ، ولكن ما الحيلة ازاء الظروف والضرورات »[2] .

وفي الصفحة ١٧٧ تصوير لشخصية العنوان :

« يزحف ببطء نحو الشيخوخة ، لا أستطيع أن أعرفه اكثر من هذا التعريف ، زاول التجارة في اول نشأته فلم يفهم عليها ولم تفهم عليه ، ثم قادته البطالة الى المقاهي فموائد الميسر فقاعات القمار ، وهنا سال لعابه ، وشطت

---

(١) مقدمة الدكتور العجلاني لكتاب « في قصور دمشق » للنجار .

(٢) ص ٧٤ (في قصور دمشق) .

وباله ، فراح يقدم رجلا ويؤخر أخرى ويتلفت يمنة ويسرة ، ومالبث ان خاض المعركة . . . .

كان يأكل وينام ويطارد الحسان

وكانت حياة صاحبنا من هذا الطراز الرخو »

وقد جاء ذكر هذا الأديب الشعبي ، في محاضرات الكاتب الكبير الاستاذ شاكر مصطفى عن « القصة الحديثة في سورية حتى الحرب العالمية الثانية » فكرم النجار بدراسة كتابه « في قصور دمشق » وسلكه في عداد الذين بنوا ادبنا الحديث ، لكنه اشار الى ان قصصه على طريقة « الريبورتاج » في الصحافة ، ولم يكن الاديب المبدع الاستاذ شاكر بصدد دراسة نقدية يمعن فيها التمحيص والمقارنة ، بل كان في محاضراته الضخمة عن القصة ناهضاً بعبء جسيم في جمع موضوعه القيم من اشتات المخطوط والمطبوع ، غير انه عهد الى بعض القصصيين بأن يتحدثوا عن مواهبهم وآثارهم فحملوا تبعة ماقالوا ريثما يعود المحاضر الى الجزء الثاني من كتابه ويتناول موضوعاته بالنقد والتحليل ، ومن المؤسف ان ينقل من سطور الاستاذ شاكر طالب من حمص في دراسة له جامعية ماقال عن النجار دون ان يكون له رأي او فكرة ثم يتساءل عن اقلال النجار من كتابة القصة ، والمرحوم محمد النجار نشر مجموعته منذ ثلاثين عاماً ثم أتبعهـا بثانية « همسات بردى » لكن براعة الطالب الناقد دلت على مدى تحريه للحقيقة وتعبه في البحث. ولم يعلم ان هذا الاديب الشعبي غاب عن الدنيا قبل ان يسعد بقراءة ما كتب عنه في الدراسة المنسقة الحديثة التي يتصدى فيها الطالب للنقد والتقويم ، قبل ان يتعلم البحث عن الحقيقة.

اما الاديب السوري الثاني في هذا المقال فهو عزمي علي البغدادي الذي

مارس الكتابة والتأليف بصمت ودأب وانزواء ، فكان نتاجه الادبي تصوير فنياً بليغاً لجوانب من الطبيعة في بلاده الجميلة ، ومن الشخصيات العالمية والعربية» فما الذي جعلني أذكر الاديبين معا وقد نسي الناس عندنا أخبار الاثنين ، وطوى الاهمال آثار كل منهما ؟

لقد اعددت مقالي من اجل هذين الموهوبين الفقيدين ، لأن احدهما مر بتاريخ أدبنا الحديث مرور النسيم والثاني ظهر كهبوب العاصفة التي تملأ الفضاء غباراً ثم تنجلي وكأنها لم تهب ، وقد ترك كل من النجار والبغدادي نتاجا وحديثا ، فالاول كان بحكم طبعه وبيئته ، ملتصقا بالمجتمع متمرسا بالحياة منذ نشأته حتى شيخوخته ، تلقى تجاربه وثقافته منها ، فهو في لهجته وعبارته وفي مزاجه ومعيشته كان مستغرقا في كل مايدور في آفاق العامة ، ولئن سمى كتابه « في قصور دمشق » فان محتواه والاسماء التي تنقلت في صفحاته وصوره كأبي صياح وصياحين وفياض وام حسني وغيرها لم يأخذها من المغاني والقصور كما يخيل الى القارىء ، والنجار نفسه قال في اول كتابه « انه اقتنص هذه المخلوقات الشاذة والنماذج الطريفة من هواء دمشق ، واذن فليس من الحق والعدل ان يزعم احد ان الطيور المحلقة في سماء دمشق كلها اومعظمها من هذه الشاكلة . »

على ان الاديب عزمي علي البغدادي الذي طواه الموت قبل ان يكتهل ويحقق امله في حياته الفكرية قد زاول التدريس في القرية والمدينة ، وتلقى ثقافته من الكتب والاوراق اكثر مما تلقاها من الحياة نفسها ، وعاش في بيئة أرقى وأشد تعلقا بالطموح والمثل العليا ، وقد نشر صورا بليغة رائعة لشتى الشخصيات والأساطير والمشاهد اليومية ، فهو يتفق مع النجار في الموضوع

والتصوير العاثم القاتم ، ويختلف عنه في الطريقة والثقافة والهدف ، ولم يكن النجار في صوره وتعبيره هادفا ، وانما كان واصفا ومتهكما بمنشاره الحاد ، الذي دخل في أشكال ابطال وفضائحهم الجنسية والاخلاقية كما كانت تسمى ، وهي اخبار وأسرار تمر بكل مجتمع ، أودعها مؤلفها سردا سطحيا واقعيا ، وليس فيها عقدة اومسألة تناولها بالتحليل والتأويل ، وانما تتابعت الاخبار في تصاويره عارية نابية ، اوناقمة شامتة ، لاتلتمس الهوادة والمعاذير ، والاداء فيها على طريقة « الريبورتاج » التي راجت في الصحافة العربية ، ولو ان النجار تناول فيها كتب نفوساً من الشعب كابدت الحرمان والهوان لكانت اقرب الى القلب والحقيقة ، ومن الظلم ان نغفل عن ألوان في صوره عبر فيها عن مواقف وطنية كانت معروفة في الحياة السياسية كاستئجار المتظاهرين للهتاف بحياة نائب او وزير ، ثم اختلاف المتظاهرين في زحمة المسيرة على الأجرة ، على ان هذه المواقف قد خلت من القيمة الفنية والجمالية في التعبير عنها لانها جاءت مسرودة على نسق الاخبار الصحفية التي تملأ الجرائد والصحف الاسبوعية في مصر ولبنان ، وفي لهجة تقارب العامية .

وفي هذا التفاوت في الأداءجاءت آثار البغدادي أرقى أسلوباً في تصويرها والتعبير عنها بألفاظ جزلة ، لكن الوصف فيها متدافع مكرور ، نحا فيه نحو المنفلوطي تارة ، وتارة حاكى طريقة طه حسين في التتابع والتأنق ، ويبدو أن البغدادي تلقى تعبيره من اساليب البلغاء في القديم والحديث ، وهذا مثال مماحوى كتابه « صور » الذي ظهر عام ١٩٥٥ وقد نشرته دار الرواد في دمشق :

« مل الركب وضاق السفر وآذنوا بثورة ، وتحدثوا بالشكوى فيما بينهم وهمَّ بعضهم ان يخرج عن نطاق الجماعة ويعلنها حماقة على السائق واصحاب المرآب ، وليس مايدعو الى التلبث والصبر ، فالركب مجوع والاحمال موثوقة ، والوقت

يدنينا من المساء ونخشى ان تدركنا مطرة على الطريق ، وما على السائق إلا ان يحرك سيارته وينطلق بها »

« وأذني مع رفاقي في السيارة تستمع الى لغطهم وصخبهم وتذمرهم من السائق الذي جلس على كرسي قرب باب المكتب عند القهواتي يحسو كأساً من الشاي الأخضر من غير ان يهتم بالمسافرين او يحفل باصواتهم واحتجاجاتهم » .

لقد صور الأديب عزمي علي البغدادي منذ بضعة عشر عاما سائق السيارة في بعض صفحات من صوره، وكأنما امتداد في التصوير لم يتجدد مداده وموضوعه .

ولما عبَّر عما رأى حوله في السيارة قال : « ثم ندّت مني نظرة الى سلتي المخبوءة في فجوة قرب السائق ، فلمحت عنق زجاجة « البراندي » مشرئباً ممدوداً كأنه ضاق بصمته واحتباسه ، فاستطال يتروح ويتطلع ، واتسعت رائحة « اليبرق »[1] والكفتة والكعك والكبة، ونادت بائع الجرائد اشتري منه عدداً أتزود بالأخبار المستفيضة ، ودخلت فتاة هيفاء سمحة ترتدي بذلة سوداء مما ترتديه طالبات المدارس الابتدائية ، تحيط خصرها بزنار من الجلد الابيض، يظهر رشاقتها ويبرز نهديها ملء اليد .

وفي الصفحة ١٤٧ و١٤٨ « وكانت عينت لي موضع حيها ودارها منه ونسبت لي نفسها وصورت لي أهلها ومكانهم الاجتماعي .

فحارتهم في حي بعيد عميق مظلم ، تنهض من حوله جدران متطاولة قديمة خربة متهدمة ، اقيمت من حجر ، واقيمت من طين وخشب ، وينحدر نزولا على طرف من اطراف دمشق الجنوبية ، على خط « الطرماي »[2] فالهواء فيها محبوس وهي رطبة منتنة تشيع فيها الوجوه الصفراء الشاحبة وتختلط فيها الدروب

(١) ورق العنب المطبوخ (٢) الترام .

وتلتوي ، وتستقيم مرة لتعوج وتنطوي ، ثم تتجمع لتتفرق وتتوزع وتصبح شعابا وأزقة . . »

كذلك مضى عزمي البغدادي الذي عاصر النجار في تصويره للشخوص والشوارع ، لاحت فيها الملامح الدمشقية ، كما لاحت في صور النجار وتعبيره الشعبي الصارخ ، وكان أداء البغدادي فنياً متأنقاً وان لابسه التكلف احياناً وجرى على النمط الذي كان سائداً منذ عشرين عاماً ، وانظر ايها القارىء الى قوله وهو يحاكي اساوبطه حسين في الصفحة ٦٢ من كتاب (صور) : «منذ ان اصبح وحيداً وهو قلق مستقر مستثار مأخوذ مضطرب اشد الاضطراب ، فلا يكاد يدخل بيته ويشعر انه عاد فخلا لنفسه وأنه حر غير مقيد في هذا البيت يستطيع ان يفعل مايحلو له من غير ان يكون مراقباً ولا محسوباً ، له ان يترك نفسه على سجيتها وهواها فيتمتع بحرية كما يهوى ، فهو لا يكاد ينتبه الى انه وحيد وانه في مستطاعه ان يرضي غرائزه حتى تنقض هذه جميعاً كأنها حيوانات جائعة » .

كذلك كان البغدادي مسترسلاً في الاسلوب الذي ارتضاه ، وتجلت فيه الصناعة اللفظية لأنها وافقت مزاجه وسايرت ذوق القراء في ايامه .

ولعل سؤالاً بعد هذا المقال يدور فيه العجب ، ما الذي بسط لمحمد النجار في الشهرة المحلية ، وقيض له ضجيجاً في حياته واهتماماً بموضوعاته الصحفية ، ولم ينتشر الا هذه الصور التي عدها قصصاً واقعية في حين حرم البغدادي هذه الظاهرة الاجتماعية ؟ والجواب على هذا السؤال سهل مبيأ ، ذلك ان القارىء العادي والمجتمع الضيق بما فيه من المراهقين وانصاف المتعلمين يستهويها خبر السوء والمنكر وتصوير الفضيحة والجريمة فتتداولها الالسنة والمسامع بسرعة وبمجاوبة ، وادب البغدادي في صوره المتأنقة واخباره المحلية والعالمية لا تضج فيها الحياة والحركة وان لم تخل من عواصف

الجنس . على ان لهذين الاديبين – المتلاقيين في الوطن والزمن وفي الموضوع والصور ، المتفاوتين في التفكير والتعبير – أشباهاً ونظائر في حياة ادبنا القـــديم والحديث ، وبخاصة في آفاقنا العربية المضطربة ، وطالما كان النتاج الادبي صورة من صور المجتمع الذي عاش فيه صاحبه. ولعل الموازنة بينها يدركها القارىء اليوم ، ويخرج منها بأن كلا من الموهوبين الراحلين قد حـاول ان يجتذب قراءه بأدائه وأنبائه ، وان لكل بضاعة رخيصة او ثمينة راغباً وشارياً ..

ومهما يكن الأمر في هـــذا النتاج فان من حق صاحبه على تاريخ ادبنا الحديث أن يتناوله الباحثون والممحصون بما ينبغي له من تحليل وتجرد ودراسة ، فان فيه صفحات وسطوراً تصور اخلاق المجتمع في عصره وتدل على ذوقه في الحياة والفن والتعبير .



لعبة الأشياء المستديرة

شعر خليل الخوري



هي الاشكال أكملُها مدوَّرُها .
وأجمل أجمل الأشياء في الدنيا مكوَّرها
أتذكر أنَّ أولَ لعبة لَعبتْ
ناملك الحرير بها ، وهزَّ صفاك مرمرها
مكوَّرة ؟ وأول تحفة طربتْ
لها عيناك ، أول دمية جُذبتْ
بها شفتاك تفتضّانها سراً وأبعادا
بُعيدَ غدوت ميلادا
مكوَّرة .هي الأشكال أفتنها مدوَّرها
وأشهاها مكوَّرها .

أما بعنا بشيء ما ـ وأعرفه وتعرفه ـ أما بعنا
معاً فردوسنا ؟ ضعنا
وراء مكوّر الاشياء . والأشياء أخلبها مكوّرُها
وإتفاح في احلامنا صور جحيميّ تصوّرُها ؟
(خبيث أنت تفهمني
أكاد أرى ظلال مكوّر الاشياء في عينيك . أبصرها
تهز دماك تحفرُها
وهاشفتاك ترتعشان . لاتخف اشتهاءك . لست تخدعني
أجل لاتخف جوعك في إناء من وقار ليس يقنعني
وقور أنت ؟ تضحكني .
ضبطتك أمس مشدوهاً . بجوع سنيك الستين مصلوباً
إلى دوّامة كروية رجراجة في الدرب مجذوبا
فلا تخف اشتهاءك خلف أقنعة مزورة . أتنكرُها ؟
هي الأشياء اكنزها مكوّرها) .

وكان يثار تخلبه دوائرها . يناورها
تناوره ، تدور ، يدور ، ترمقه ، يحاورها
يرجّيها ويلثغ ، يا أهازيج الدّم الطفل
ويغلي فيه مايغلي
يداورها يداورها
ويبكي ثم يضحك ثم يخشاها اذا اقتربت
فان هربت هي الدنيا التي اضطربت

وتفتنه وتذهله محاجرها ، مناظرها
(وما أحلى الخرائق وهي سارحة على مهل)
ويا ما قد أحسَّ برغبةٍ في خنقها . قل لي :
أما أغواك آناء الطفولة ما استدار ؟ أما
ضغطت عليه من شغفٍ ؟ وآناءً يحاصرها
وتهرب منه . إنْ هوبتَ هي الدنيا التي اضطربت
ويهجس كان من عجب :
— إذن لعبٌ ؟ على أقدامها تمشي . لوان أبي ...
ويستجديه مهووساً . يجنُّ يجنُّ باللعبِ
— (أبي الجوك أمسك ألنباً منها)
ويا دوّامة الطرب
تزوبع في دماه ، تثير نائرها ، وتسحرها
وكان يخاف يلمس راعشاً منها دوائرها
يهدهد ما استدار من الأرانبِ . إنها الأشياء مدهشها مكوّرها .
وفي أحلامي البيضاءِ والحمراءِ أبصرها
وتسكب لي فأسقيها ، وتسكرني ، وأسكرها
وأصحو قبل أن أروى ، ولن أروى ، فجوعي خالد اللهبِ
ومن أزلٍ هي الأشياء لاهٍ بي مكوّرها .
وفي التسعين يلهو بي
ويلهو بي الى أبدٍ كأنَّ مكوّر الأشياء من دنياي جوهرُها
ومحورها ، وينبوع الحياة ، لأنها الأشياء أعظمها مكوّرُها .

النهر الحليبي

قصة لحيدر حيدر



على ضفاف النهر قضى فياض سنوات طوالا . قضى لياليه في التجوال حول النهر أو في أزقة المدينة لا يأوي لفراشه حتى الهزيع الاخير من الليل .

لم يكن لدى فياض ساعة تحدد له الوقت سوى جسده الذي يتعب فيطلب الراحة ، ويسترخي فيحس بضرورة الاستسلام للاحلام .

كان فراشه مصنوعاً من قشور الذرة الجافة حشرت في كيس من الخيش وتمددت مع الزمن حتى التصقت بالأرض وكأنها قطعة منها ، أما مخدته فكانت بعض الخرق والعيدان التي جمعها عن شاطىء النهر .

كومها فوق نتوء جذع الشجرة وضع منها انخفاضة لرأسه الكثيف الشعر . حول فراشه كانت تتدلى فروع شجرة الصفصاف المستحي كذؤابات شعر امرأة او ذيل حصان تحميه من الرياح والصقيع وعيون البشر .

ولم يكن في المدينة من هو اكثر طمأنينة من فياض في عالمه الصغير هذا، الخيمة الطبيعية المشرفة على سطح النهر اللامع ، وشجرة السرو السامقة المجاورة لكوخه الصغير ، الناعورة النائحة على مدى الليالي ، ثم هذه الغبطة في الاستقلال والمحايدة دون ان يسبب ايما اذى للآخرين .

غير ان بشر المدينة لم يكونوا في مثل تلك المحايدة ، فحتى اطفالهم كانوا يحصبون الكوخ وشجرة المستحي ويصرخون : الغزال المجنون .. فيـــاض الحيوان ... خذ هذه الهدية ... ويقذفونه ببقايا اطعمة عفنـــة او الواح من التوتياء المدور كان يطفو بعضها فوق صفحة النهر ثم لايلبث ان يغور في الاعماق .

في سهرات الايام الشتائية ، عندما تشعر الحيوانات بالقشعريرة ، وتهفو للتلبد في مكان قصي دافىء ، والدخول في اجناسها عبر الكهوف والاجم تمارس الحب والرغبات الطبيعية : يبدأ البشر في مدينة فياض بالتندر عن حكايته المؤسية : كيف رمته ام مجهولة – اشتهته في ليلة قارســـة – على تخوم الصحراء ، ومرت بجواره غزالة مع اطفالها حنت عليه وارضعته حتى نما وعاش بين قطيع الغزلان كواحد منها لايعرف غير الشمس والريح والعدو عندما يدنو الخطر .

ويتحدثون عن طول ساقيه ونحولها . وكيف تجمعت المدينة باسرها لمشاهدته عندما صاده الصيادون في الصحراء . وكان الذي لفت انتباههم خيط الدم الملتوي على طول قدمه اليمنى وهو يعرج بين الجموع ، مذهولاً خائفاً لايفهم شيئاً من هذا العالم الجديد .

وتمر أيام ويشفى فياض من جرحه ، ويعلمه الصياد بعض الكلمات . غير ان الحنين للصحراء والمدى والعدو يتحرك فيه،فيخرج في ليلة مقمرة ويرمح بساقيه نحو الشرق حتى يبلغ البراري القصية . هناك تلقته جموع الغزلان بالفرح والانس وراحت تلحس جسده ، ليلتها غفا فياض بطمأنينة وسلام في احضان الغزلان كما لم يحدث في حياته .

وبعد ايام حاصره الصيادون ايضاً واحضروه الى المدينة ، وربطوه بسلسلة فولاذية كحيوان متوحش واجرى احد الاطباء عملية لقدميه ، ومنذ ذلك اليوم لم يعد فياض يعدو الى الصحارى البعيدة .

بذلك كانوا يتندرون في قارسات الليالي ، ومع الزمن تحولت الحكاية الى اسطورة شعبية ثم الى قصيد زجلي غني على الربابة ، وفيما بعد الف ديوان طويل عن الحكاية اضيف الى تغريبة بني هلال ومحاورة الزير سالم وقصة بدر التمام بنت ملك الجان .

كانت تلك الاسطورة تُروى حول المواقد ، ورجال المدينة مشدوهون تتوتر احاسيسهم وتنصبّ على شفة الراوي ، وعندما كان ينتهي من احد الفصول ويقول : وعمر السامعين يطول . يتثاءب الرجال يطفئون نراجيلهم ، ويوقظ بعض النيام ، ثم يبدأ الرحيل الناعس عبر الازقة نحو بيوت مبنية من الطين ، محكمة النوافذ ، تزين حيطانها النضرة سجاجيد صغيرة وكتب قديمة .

ولم يكن فياض كما تصوره الرجال ، ذلك الابله المجنون الذي لا يفقه غير الدوار والنوم والرنو الابدي نحو الشرق .

كان مفتاح المدينة وسرها المخبأ تحت عمامة الليل ، يعرف اشياء كثيرة

لايكن البوح بها ، ويعتقد ان الزمن القادم سيروي اشياء لا حصر لها عن المدن المحاصرة وعن البشر الذين يعتقدون انهم يعيشون .

لم يكن ينام قط قبل أن يمر على بيوت جميع الرجال بعد فلول السهرات يسمع الشخير ، والتأوهات ، وجلبة الدواجن والحيوانات في الخم والحظائر وهي تتناغى . تناجي اجناسها وتحيا .

وعندما كان يتعب من الدوران في الازقة الموحلة يعود الهوينى واضعاً يديه خلف ظهره بوخوخ ، ثم يرنو الى قدميه المعطلتين . يتوقف قليلا رانياً نحو الشرق الكئيب ، ومن ثم يهز رأسه ويتابع حتى ضفاف النهر .

كان النهر يسحره ، ساعات طويلة تمضي ، وهو يستند الى الجسر محدقاً في المياه المنسابة ، وفي اذنيه لا يبرح انين الناعورة رثاء أزلياً لتلك القطرات المتهافتة نحو مساقط الموت .

ويصحو فياض من غفوته فيسير على الضفة باتجاه الكوخ ، وئيد الخطا يحلم بالصحارى والغزلان ومدائن الحرية .

خلال حياته بين البشر لم يؤذ احداً ، وكانت لغة التفاهم بينه وبين الآخرين مفقودة . ولقد تعود من خلال حسه البدائي ان يكتفي بنفسه ، يجمع الحشائش عن حواف النهر ويأتي بها كوخه يغتذي بها عندما لا يجد مايقوته ، ويضمد جراحه بعضها الآخر ، وكان يغني .

مع الايام ألفت المدينة صوته الشادي ، ثم تحولت الالفة الى نسيان . وبقي فياض ملك المدينة وكاتم اسرارها .

سحر ليلة من ليالي الربيع كان يسير على حافة النهر يقطف الازهار البرية ويجمعها باقات ليعلقها في سقف كوخه احتفالاً بعظمة أمه الطبيعية ، وقعت عينه

على طفل ممدد فوق بطنه ، لفظه النهر فاستلقى رأسه في الوحل بينما راحت مياه النهر ترشف قدميه ثم تنحسر عنها برفق .

وذهل فياض . تسمر . سقطت منه باقة الزهور وانتشرت فوق الوحل ورفرف عينيه لايصدق . فوق سطح النهر طفل ابيض في لون صفحة القمر مسجى فوق تابوت الضفة . عار . وضيء كالشهب . صامت كشاهدة وفية . في مكان ما من قفاه المزغب الناعم ثمة خطأ غير مقبول : « جرح ودم » .

وجسه فياض . حركه ثم حمله فوق راحتيه الى الكوخ . حفر له حفرة صغيرة قربه ووراراه ، ثم عاد فجمع له زهوراً جديداً لها رائحة ومددها فوق كتلة التراب . يومذاك بكى فياض دموعاً ساخنة وسهر حتى الفجر قرب الحفرة ، وعندما اشرقت الشمس تطلع الى الشرق البعيد ، وراح يغني اغانيه الكئيبة ، ولأول مرة أدرك : لماذا تئن الناعورة ! !

وتعاقبت الدهور والاجيال ، الليل يولد من النهار والنهار يولد من الليل وكل فلك يدور . وفياض يحيا ويغني ويشاهد ، والمدينة تسهر لياليها على صوت الراوي تستمع الى صنوج الحرب تدق ابواب القيروان ، والى سنابك الخيل تشارف مداخل سمرقند فتمتليء النفوس بالهيجان والغضب ، وتتوتر العضلات شوقاً الى حرب بسوس جديدة ، ويتحول العنف راية منشورة فوق تلال النفوس .

وعلى الضفاف تئق ضفدعة يجيبها صوت ضفدع . يتماوج النهر بالنقيق وترحف الهوام فوق مروج الفرح لتعانق بعضها وتحيا .

وينتشر نبأ صغير : جنية ترتدي ثوب غزالة برية تقطع المسافات تحت ضوء القمر حذرة مذعورة ، ترضع فياضاً وتنام معه تحت شجرة المستحي . ويضاف النبأ الى حكايا القوم . يصبح للاسطورة رهبة في النفوس ويقول بعضهم : النهر

مسكون !! وذات ضحى يسمع فياض اصواتاً وصراخات حادة تقترب منه .

يثب من فراشه وينتصب . يرقب من عيون الشجرة. تقع عينه على شاب اسمر في صلابة الصخر يعدو مذعوراً نحو النهر ، وخلفه رجال يعدون في اثره . يصرخ الفتى : لااريد . لااريد . فياض . فياض . ويقترب اكثر . يعبرالجسر يلتف والقوم يولولون : عد . . يامحمد . . ويزداد عدواً . . يصبح في مواجهته على الضفة الأخرى . يلمح في يده فأساً حادة ترشح دما ، ويده الاخرى بين فخذيه تضغط . يعول القوم : الطيب . . يامحمد . . فيزداد الفتى وحشية : عودوا أيها الكلاب . . لااريد . . لااريد . . فياض الحبيب . فياض ويلتفت الى الخلف وهو ملوحاً بالفأس . ينتضي احدهم سكيناً ويقترب منه . ويشهد فياض. المعركة فأس وسكين وشابان في ميعة الصبا. تجيش النفس بالحسرة وينفجر الشيء الخبيء:

« انا شدخ الاسترة . غلاف شاف كدمعة العين اتوسد بين جوح فياض وعويل النساء في أوردة الدم » .

كالومض وتشق الفأس رأساً مسروق الصبوات. تنغرس سكين في صدر هائج استيقظ . ويهوي الجسدان في النهر .

يغمض فياض عينه ويرتمي فوق فراش القش منتحبا .

في صدور القوم تطوى الحكاية . وفي نفس فياض تظل ماثلة قرب شاهدة الطفل . غير ان الحكايا تزيد ادراكه اكثر فاكثر لانين الناعورة .

كان فياض مع الزمن قد الف اصوات الغربان في الاصائل . فلا يكاد الغروب يرمي اوشحته الرمادية حتى تبدأ مواكبها تفد الى اشجار السرو والكينا تحوم فاردة اجنحتها الدامسة . يتغلغل بعضها في عب الاشجار ويطير بعضها لآخر فوق النهر والجسر ؛ يفزع نعيبها الخفافيش الصغيرة وهي تتساوق فرادى

في هلام الفضاء المنحدر فوق سفح النهر ، ثم لاتلبث ان تنزوي في جحورها تحت قنطرة الجسر .

ومع بداية المساء يروح برقها وهي تتزاوج في ظلام الشجرة المنحنية فوقه . تنقر بعضها بعضاً ، وتخفق اجنحتها واثبة من غصن لآخر ، تحف بالاوراق حتى تختار المأوى الدافيء فتلتف الاعناق وبتلامس الريش ، فتحيا وتنام رغيدة .

وخلال حياته على النهر حلم فياض بيوم مشمس يسير تحته اثنان من جنس البشر ، يتعاطيان الحب وينعمان كالطيور ، غير ان حلمه سافر نحو جزر منسية وراء البحار ولم يعد .

ولم يكن الراوي يل من رواية اساطيره الغريبة عن الحرب والجحافل وبطولات الزناتي وابي زيد الهلالي ، حتى اذا توقف عند قطع رجل « الخضرة » فرس دياب بن غانم ، وتودد النعاس ، وانطفأت التراجيل ، وقال المؤذن : حي على الصلاة ، التقى ثلاثة رجال أو أكثر هجرهم النعاس في اخريات الليل على باب الراوي يقرعون يصرخ احدهم : انهض وقل لنا ماذا حدث للخضرة !! ويستيقظ الراوي مغاوبا ويقرأ لهم : « قال الراوي ياسادة ياكرام ان الخضرة وعلى ظهرها دياب فارس بني هلال ، جمزت السور بالثلاثة .

وعندما يشعر الفرسان بطلاوة النوم ، تتمدد الراحة في نفوسهم ويستمرئون الغطيط تحت الدثر الوردية .

وتتفاقم الحوادث في مدينة فياض ، تطوح امرأة عارية نفسها من مئذنة احد الجوامع فوق مسلة ناتئة تقوم على الرصيف المجاور للنهر ، ويراها فياض تهوي فتثقبها المسلة الحادة ، تخترقها من بطنها وتخرج من اضلاع ظهرها فتعلق المرأة في

الوسط ، ويتدلى رأسها بينما تتأرجح ساقاها عاريتين في الفضاء كطريدة رأسها سهم . وتنوس رقية علقت في رقبتها نقش فيها اسم فياض . ويشنق فتى وسيم نفسه في ساحة المدينة على مرأى من البشر ، ويصيب المدينة محل ، يهددها جراد جائع وتحتبس الامطار وفي الليالي الداكنة يقرأ شيخ معمم وقور الآيات ضارعاً للرب . وتستمر حكايا الراوي تروى على دخان الجامر ، وبين روائح البخور المقدس . ويوشح الليل انين ناعورة قديمة تطحلب الزمن فوق اطارها عشباً صغيراً تشجو ، تدور ، تمتلىء بدموع النهر ، وعلى الجسر يعبر المارة .. حكايا منسية ، كالريح ، كالصدى ، كفياض .

ويأوي فياض الى فراشه ، كسيرا ، يبكي كطفل مفقود ، يحدق خلال دموعه الى قدميه المقصودتين ، ويروح في غنائه النشيجي :

« لاتقترب من الغابة

الصيادون في كل مكان

لاتأمن للريح ...

الريح رمح ...

هو ذا فياض يموت من الحزن ...

كذلك كان ...

كذلك سيكون ...

الى نهاية الدهر ... »

وتتغمس الحكايا بمياه النهر ، تمتزج بالقطرات وفي اعماق التربة تتغلغل . وينسدل وشاح فسيح في اتساع رقعة السماء فوق ذاكرة المدينة .

ويدعو صوت المؤذن لصلاة الظهيرة فيرع القوم تحت وطأة السنين

يصنعون سدا من السجود لرد المحن عن المدينة ، وفياض الوافد الغريب مازال نائما على الضفة تزغرد احلامه ، ينوح حنينه لغزالاته البعيدات ، لبراري الشمس والواحات ، ولأصوات تصدر من اعماق الارض كأنها الحشر .

* * *

وتتالى الانتحارات الجماعية ، وهجرة الفتية ، والحوادث الغريبة الشاذة .
وفي الليالي يرى فياض اشباحاً تتحرك بين اعشاب النهر وخلف جذوع الاشجار . كان بعضها يبدو عارياً ، وتصدر اصواتاً مذعورة ، كأنها تقتتل او تنتشي ، وفي الفجر تتسرب الغربان من الاشجار وتحوم ناعبة باصواتها الحادة ، ترسم دوائر اهليلجية وتحط قرب الجسر وعلى الضفاف ، ثم لاتلبث أن تخفق أجنحتها الليلية وفي مناقيرها قطع حمراء متدلية تمضغها في الفضاء وتغيب .

ويسطع القمر ذات ليلة ، فتغمر المسرة جنابا فياض . يعرج على حوافي النهر يبكي ويغني للقمر الفضي المشعشع فوق الاراضي البكر وهو ينسكب فوق المنازل الطينية ، وعلى صفحة النهر المتأود .

ويرتفق حافة الجسر ثم يحدق في النهر . فيرى بقعاً بيضاء صغيرة يدفعها التيار . بدت وكأنها حيوانات صغيرة من العلق الابيض مقذوفة فوق السطح ، واعتقد انها بقايا جرفها التيار من فيضان النهر .

مع الأيام ازدادت مراقبته للنهر . لم تكن البقع تنقص او تفيض وانما كانت تتلاحم وتمتزج بالمياه حتى لونت النهر ببياض ناصع كأنه الكفن .

ولم يستطع فياض تفسير هذا التحول في طبيعة النهر . سوى انه صار متعته في الليالي المقمرة عندما تبدأ الاشعة تتكسر فوق ذلك السطح الحليبي المدهش .

كانت الاصوات تعود للصدور بعد افول القمر على ضفاف الدرب الثلجي

السابح في خاطر الظلمة ، والمحن ماتني تنهمر على القوم ، والشيوخ الطيبون يذكرون بالمعاصي ، والعجائز محنيات الظهور ينذرن للاولياء بناتهن العذراوات ، وتتكاثر حشود الوافدين الى الحج في الاعياد المباركة ، وعلى جدران البيوت الصغيرة المتواضعة يعلق اسم الله بأحرف كبيرة قرب السيوف والخناجر والسجاجيد الصغيرة .

في الليالي نفسها يرتعش قلب حزين : « لو كان لي ان افرش الضوء درباً الى المقابر المسكونة . لو اني يراعة في ليل الضمائر لو كان لي ان ابوح » .

وتحدث هجرة جماعية في المدينة ولا يبقى فيها غير الدواجن والقطط والكلاب والفئران : ويعود فياض في اواخر احدى الأمسيات بعد تجوال انهك جسده في الحواري والأزقة وبعد ان رحل القوم وينحدر في المضيق الملتوي بين الاعشاب ، يدندن كلمات غير مفهومة . ويصل الى مرجه فيسمع اصواتاً قريبة وقهقهات فرحة ورشوشات ماء تتطاير وتصطخب . فيقترب اكثر حتى الحافة ويشده . اربعة عشر جيلا مضت عليه هنا وليس ثمة رائحة لامرأة . النهر الآن واحة من الاجساد الطرية الملساء تتلألأ تحت نبع القمر . وفرك عينيه . الاحلام صارت مع الزمن ارض حياته ، علمته الصمت والحزن والغناء . كانت القوافل ما تني تفد مدهوشة تركض في عيونها البسمات وعلى شفاهها ارجوان الحياة والصبوة ، تقفز في الهواء ، ترمي ثيابها السمكة ثم تهوي في النهر .

نساء . . آلاف النساء . ملايين الحمامات النضرة . شلالات ضياء تستحم في طقس النهر ، في ذكورته ، ترشف مياهه الناصعة ، وتتواشق بقطرات الحليب ، والنهر كمهرجان الغارقة ازدحم . بطر . أعمى . صارخية عارية في معبد الآلهة .

وقرفص فياض قدميه . اقتعد حشيش الضفة ورفرف عينيه . الحلم . الاسطورة . الدمعة المحتبسة في المؤق العسلية .

مواكب الغيم الابيض في سماء بيضاء على ارض بيضاء . القمر اللجين في الجسد اللجين . الليــــل رقصة سماح بلا غلالة ، الزهور تتراقص . فياض يقطف الزهور . يرمي بها النهر .

تصير الزهور عقوداً في الاعناق الجنية وتنهمر البسمات .

يتوقف القمر في مداره . يرش ضوءاً ويبسم . يبكي فياض دمعاً ابيض كثوب الاعراس وتنطق الدمعة : الميلاد يافياض في الاطفال الذين يولدون . رائحتهم بنفسج بري ، وصحارى تعتمر المدى . تحيا قرب الواحات بين الغزلان . توضع الحليب الصافي . وتنام تحت شموس منورة !!

ويحس فياض بنشوة تسبح . تمشي في الرأس . تشتاف الضلوع . تتسرب الى قدميه . فيصرخ : الحياة .. الولادة .. الرقص . ويحس على جسده قطرات . يرفع رأسه نحو الاعلى . يلقى القطرات بين كفيه ، السماء تبكي : هيا .. الرقص . ويرقص . قدماه جناحا طـــائر ويشترك مع الموكب . تتحلق الفتيات العاريات حوله . وتقول حورية : هذا لي !! منذ الآن لي .. ويصرخن : لنا .. منذ الآن لنا . ويتردد الصدى . يختلط مع الرقص والزغردات . ويقفزن معه الى النهر . يبلله ماء النهر ، فيغوص معمداً بالاعماق ثم يطفو بين الاجساد المرمرية ، ويسبح فوق الحلم على سطح الاسطورة الصقيل الفضي .

يهطل المطر رخاً غزيراً ، وتتساقط منه قطرات فوق شجرة المستحي .. تتسرب من الفجوات ، ويتصاعد صدى صوت مبحوح الانين :

« انا موارة البشر ..

المنشورة فوق نهر الزمن ..
انني حكاية اطفال ماتوا ..
توق جنيات مخبآت في مدائن الرجال ..
كذلك كان ..
كذلك سيكون ..
حتى يموت الدهر .. »

ظلال المأساة

قصة لفاطمة الزهيري



ملء فمي صقيع بارد ، ملء الكون ، انه شتاء هولاكو ، يزحم الأجنة ، في بطون النساء ، الجواري .. العار وحده يملأ صفحة الأثير ، وحده ياسلمى .. وعيني اليمنى اصابها العمى ، واليسرى ترى الناس بطريقة مقلوبة ، مئات ، آلاف ، ملايين يزحفون على أرض ملؤها الوحل والقذارة ..

هوّن عليك ياولدي ، هوني عليك ايتها البنية . فغداً ، بعدغد ، ايام وحسب وتلفنا عين الاله الساهرة ، برحمتهـــا الربانية ..

وتتنبه دموع حائرة ، في مقلتي الفتاة .. وتلاها الصبي الذي لم يتجـاوز الحادية عشرة بعد .. وأمط شفتي ، أمنحها ابتسامة عريانة من الضمير ، لقد ولد التزوير معي حين الرحيل ، وهاأنذا اوسع امتداده ، أغرسه في صلبي من بعدي . -

« ولدتما ايها الشقيان ، بعد الهجرة ، بعد عبور الشريعة بزمن .. وكنت آنذاك فتى يافعاً ، في الرابعة عشرة من عمري ، ربما .. ابه ايتها الرياح . محال ان انسى وجهك المصلوب على السفن ، محال ان تغيبي عن عيني ياماء الشريعة يوم ان عمدتني ، وقلت لي اعبر فوجهتك المرارة ، الى الشمال ، الى الشمال . .

الى الشمال ، أغنيتي المصلوبة على فم الريح ، أغنية نجاتي الشريرة .

وكانت «سمخ»[1] تعوي ، مثل امرأة جز نهداها ، سرب يتعثر في اشلاء سرب ، جياع ، حفاة ، وخائفون .. ماذا ؟ اتنامين ايتها البنية ، تتوسدين ذراع أبيك المشلولة ، فمنذ عام مضى ، عامين .. لست اذكر بعد . اسندت واحدة اخرى ، رأسها المغزول بالجنون ، على نفس الذراع ، ثم أغفت اغفاءتها الابدية . اتعرفينها ايتها البنية ، هي أمك ياصغيرتي ، أمك .. امك .

هل اقوى على استذكار حكايتها تلك المجنونة ؟ لا .. فالأشباح تتراقص امام عيني ، تدق .. تعزف انغامها المرعبة ، لتطل هي بعينيها البوميتين ، من أعلى الجدار ، من الكوى .. تبرق لي متسائلة ، ألم اقل لك ؟ ..

ماذا قلت لي ايتها المجنونة التعيسة ، هيا اغربي عن وجهي ، انك مجنونة اولاً واخيراً .. هكذا اخبر جيراننا الأفاضل ، وهو ما افاده ابنـاء المخيم من العارفين ، وبذا نصت شهادة الطبيب الرسمية ..

وتموء سماء عربيدة ، ثم تزمجر .. جيوش من المطر والرياح ، مصحوبة

(١) «سمخ» قرية عربية صغيرة ، في الجزء المحتل من فلسطين على مقربة من بحيرة طبرية .

ببريق اصفر كالطاعون .. ها هم يقتلعون عينيها المضيئتين، يجرونها بعيداً، بعيداً.. ثم يذبحونها مرة واحدة والى الأبد »

فلتناما ياولدي الحبيبين ، لتغف اجفانكما على احلام العجز السعيدة ، غداً ، بعد غد ، ايام معدودة ، وتطل ايقونة العذراء القديمة ، وقد جللتهـا يد الفنان الاكبر ، بوشاح السلام ، والرضى ، والمحبة ..

لتناما ياحبيبي الصغيرين ، فصباح غد ، أوبعده ، تملأ الزهور أرض الباحة والجدران ، والارصفة السوداء العتيقة ، ثم يتساقط رذاذ الثلج .. فنلعب به سوية ، ونضحك ، ونتسلى ، الى ان يحين مغيب الشمس ..

« وكانت جارتنا ام محمد تبكي وتولول .. يالها امرأة وقحة ، بينا راح الآخرون يعبرون الشريعة مثلي ، ثم ينقلون خطى مقتولة ، جمدها الحزن ، مطأطئين رؤوسهم فوق ارض صماء مكروهة .. وأغنيتهم التي تتردد ، الى الشمال ، الى الشمال .

في المساء نوخ ذلك القطيع الخائف ، كتلة بشرية سوداء ، مهزومة مشدودة العيون الى سمخ ، حيث راحت تحتضر أغاني الصبا ، والبسمات وحيوات آبائنا واخوتنا الكبار .

أجل ! ياولدي النائمين ، كانت سمخ تحترق تلك الليلة ، وطفا وجهها المفعم بالحزن ، عبر البحيرة ، ومياه النهر ، والهواء الذي ينقل أغنية الموت .. وتطلعنا اليها ، نحن السائرين الى الشمال ، عيون متحجرة ، خرساء ، لاتعرف سبيلها الى البكاء ..

ـ من انت أيتها البنية ..؟

اجتاح سكون الليل ، صوت رجل عجوز ، فتوجهت ابصارنا الضالة حيث تنفصل قطعة سوداء صغيرة ، عن الركب المتكوكب الخائف ..

من انت يابنيتي ؟ فلتأت الينا ..

ويترنم ليل الضياع بأغنيته الحزينة ، وتوغل الفتاة بعيداً في جنح الظلام ، فيسمع نقر أقدامها الموحشة ، كرفيف أجنحة الوطاويط في الليل ..

إيتوا بها أيها الـ ... ويتصفح الرجل الهم ، بعينيه الغبشاوين وجوه المتحلقين حوله ، ثم يشيح بنظره بعيداً .. فلم يكن ثمة ، غير النسوة والاولاد ..

وأهرع ياولدي العزيزين ، لأصيد الفتاة الضالة ، التي سمحت لنفسها بالهروب الى « سمخ » ! وأعود بها عن ضفة الشريعة الحبلى بالمآسي .. كانت يدها باردة كحجار الحزن ، بينا استسلمت بكليتها الى نشيج خافت ، لادموع فيه .

وجيء بها امام الكوكبة ، التي لا اسم لها ، فتاة في الثانية عشرة من عمرها ، خائفة ناحلة القد ، تتقد عيناها الصغيرتان ، بشرارة الف مقتول ، وهما تغزلان حلم العودة الى سمخ .. لماذا هربت ياسلمى ...؟

كذا سأل الشيخ ابراهيم ، مختار القرية فيما سبق ، وقد اخذ صوته يتهدج ويذوب في مصيدة الغربة ، واعوامه الثمانون ..

ولم تفه الفتاة بكلمة ما ، مسترسلة في نشيجها الصامت ، وتطلع الجمع الى من حوله ، ثم نكس رأسه الى الارض .. فلقد كان جميع اهلها غائبين .. غائبين وسط تربة سمخ . »

* * *

وتعزف قيثارة الزمن انشودتها فوق صفحة يوم العبور ، أربع سنين عجاف تمر واتزوج من تلك الهاربة الى احضان سمخ ، المقفرة من الاهل .. أتزوج منها « سلمى » فتنجبك ياسعيد ، وتنجبك انت ياوفاء .

وتذرو رياح الغربة ، كوكبة المهاجرين عبر الشمال ، الى دمشق ، اريحة ، وعمان .. فتشاهي ، أن تظل قريبة من نداء الاحزان ، يردده الصدى ، كل يوم ، عند مشارف الارض المحتلة ..

متى سنعود يا أبا سعيد ..؟

وكأن الشريعة يتدفق دماً بارداً في قلب الغروب ، والقمة .. واستحال الزمن الى شلال ضوء أصفر يقتات به وجه المدى الرحيب .. بينما تتلع بيارات البرتقال وجهها المزدان بالحفرة ، من على اشلاء زهرة ورياض ، واحبابنا كلهم ، في تربة سمخ الشهيدة ..

ذلك المساء ، افتقدتك فيه باسامي .. افتقدت عينيك المخضلتين بالدموع .

وفي ليله الأحم ، الا من طلقة نار حاقدة ، جاؤوا بك الي ، عن ضفة الشريعة ، جسداً يعاني مرارة النزع الأخير ..

على ذراعي المشلولة هذه ، كانت آخر تطلعاتك الى الصبية ، والشريعة ، والأرض المقفرة من الأحباب ..

قالوا .. انها كانت تعاني ازمات وجود حادة ، وأنه — ليرحمها الله — قد يكون بها مس من الجنون ، كذلك قالوا .. ياولدي الصغيرين .

لحظة الفوز

قصة أكرم شريم



عيناه تتابعان كلمات دقيقة مسطورة في عمود صغير على صفحة جريدة يومية .. وجبة قراءة معتادة بعد كل غداء .. زوجته تدخل متسارعة الأنفاس مبهوتة .. تقترب منه وتهمس :

— ولدنا أحمد طلب أدوات الحلاقة !

الفرح الطفولي المرتبك على ملامح وجهها يدخله .. يرسم ابتسامة فوز عظيم على شفتيه .. نفسه تصارع تلهفاً عنيداً ثار فيها .. ولده البكر طلب أدوات الحلاقة ! اذن فقد أصبح

له شاب ذو لحية .. اصبح في البيت رجلان .. يلوح لزوجته رافعاً نحوها ناظرين شغوفين .. ان ناولي الرجل الصغير مايحتاج .

ويتبع أم أحمده مأخوذاً .

بنطال بيجامته الساحل يتحرك تباعاً مع اهتزازات كرشه الثقيل المتورم .. يتبع زوجته في هرولة بطيئة .. حيث غرفة المطبخ والأدوات .

رغبة لذيذة دفعته لأن يسخن ماء الحلاقة بيده

لحية جديدة أورقت على وجه ولده وهو لايدري .. ترى ماشكلها !؟ كيف سمح لها بالخروج دون اذنه ؟!

مولود جديد يبرز بين جدران المنزل الهادىء .. بهجة اللقاءتفعم نفسه .. يعيش لحظات حيرة مقيتة تماماً كما لو أنه يقف خارج غرفة الولادة ينتظر جواب القابلة .. ولد أم بنت .. لكن جواب القابلة يأتيه خافتاً هذه المرة .. ينبعث من أعماقه :

ـ لحية !

أجل ! وقد تكون خشنة سميكة .. لايهم .. حتى لوكانت مجرد وبرات خفيفة متكثفة عند السالفين .. واهية عند منحدر الذقن ..

يالغبائه واهماله ! لم يلاحظ قبل الآن ان وجه أحمده قد اكتسب عظمة قاسية .. لم يلاحظ ان تأثير الشعيرات الرجولية قد انتقل الى عقل ابنه وتصرفاته ، واكسبه صفة جديدة طالما انتظرها .. لاشك انه الآن يستحق علاوة تشجيعية في مصروفه .

ويغلي الماء على الوابور

يقول واللهفة تعشش في قسمات محياه :

ـ لابد أن أرى بعيني لحيته .

ـ لا .. لاتريد أن نجعله يلاحظ .. تصرف كأن شيئاً لم يكن ، وبعد أن ينتهي تستطيع أن ترى أثر الحلاقة على الأدوات ، وتخمن سماكتها .

ويفرك كفيه في عناد واصرار :

ـ لابد أن أرى لحظة فوزي الحقيقية بعيني هاتين .

شارباه الغليظان يرقصان ولهاً على شفته العليا .. يقترب من شق الباب ماشياً على رؤوس اصابعه .. لاشك انه قد ابتدأ الحلاقة .. ينحني بقامته القصيرة الممتلئة .. يبث نظرة كاشفة من فتحة القفل .. يظهر له قسم من الفضاء طولاني .. تتحرك فيه يد احمد الحبيب ممسكة آلة الحلاقة كأي رجل آخر .

ويستمر هو في التهام المنظر بينما دمعتان ثقيلتان ساخنتان تنفران من عيني ام احمد خلفه .

الفنون

الكتاب والموضوعات

- الايقاع النغمي والحركات الايقاعية عند العرب
  بقلم حامد حسن

- ساسكيا حب رمبرانت الوحيد
  للكاتب الفرنسي برنار كلافيل
  ترجمة جروان السابق

الايقاع النغمي والحركات الايقاعية عند العرب

بقلم حامد حسن

عرّف علماء العرب القدامى الايقاع بقولهم : هو تأليف عددي .[1] واستطاعوا ان يستخرجوا من هذا التعريف – على قصره – سلسلة من النتائج التي يلزم بعضها بعضا . والتي تضع لنا أسس وأصول العلم الموسيقي .

فالنتيجة الأولى لهذا التعريف هي: انه مادام الايقاع هو تأليف عددي ، فانه لا بـد ان يكون تأليفاً من حركة وسكون في مجال النطق والسمع ، ومن تأليف المتحرك والساكن تنتج نتيجة هي : ان اوزان الالفاظ تكون :

(١) جابر بن حيان للدكتور نجيب محفوظ .

اما سبباً خفيفاً أي متحركان متتابعان .

او سبباً ثقيلاً اي متحرك يليه ساكن .

او وتداً مقروناً ، اي متحركان متتابعان يليهما ساكن .

او وتداً مفروقاً ، اي متحركان يتوسطهما ساكن .

او فاصلة صغرى ، وهي ثلاثة متحركات متتابعة يليها ساكن .

او فاصلة كبرى ، وهي اربعة متحركات متتابعة يليها ساكن .

أما مجال الموسيقى فمن تعريفنا الايقاع بأنه تأليف عددي ينتج : أن هذا التأليف اما أن يكون فرداً في العدد او زوجاً ، والزوج والفرد يأتلفان معاً على اربع صور وهي : زوج زوج ، او فرد فرد ، او زوج فرد ، او فرد زوج .

والعدد الفرد يكون مثل الواحد واخواته . والزوج يكون مثل الاثنين واخواتها . ويتولد من ذلك اربع طرائق من الموسيقا ، والرمل والهزج .

ثم انهم ولّدوا لكل واحدة من هذه الصور الاربع خفيفاً فصارت : خفيف ثقيل الأول ، وخفيف ثقيل الثاني ، وخفيف الرمل ، وخفيف الهزج واصبحت ثماني صور . ثم جعلوا لكل واحدة من هذه الصور نسبة في الاصابع فكان خلف هذه في الأصابع كخلف تلك في الحلق واللسان والشفتين ، اذ انه قد يحدث من هذه الطرائق في الاصابع ساكن ومتحرك كما حدث لنا من الحروف ساكن ومتحرك .

ومن هذا تصبح لكل طريقة من طرائق الموسيقى الأربع أربع صور ، وربما فرقوا بينها بثغرة يسيرة فصارت ثمان ، اي ان مجموع الصور كلها يكون ثمان في اربع أعني اثنتين وثلاثين طريقة .

والايقاع سواء كان نقراً في الاصابع او حركة في الرجل او اليد او غيرهما فانه يرتبط ارتباطاً مباشراً بالصوت ويكاد يكون كل منهما علة الثاني .

ولذلك فقد درسوا ظواهر الحركة ووضعوا لها اقساماً وألواناً ومدارج وكلها ترتبط بالفترات الزمنية كما في النغم تماماً .

فالحركة مفردة او مثناة ، او مثلثة .

وهي اما شائلة ، او مرتكزة .

والشائلة اما شاقولية ، أو نائسة (تشبه حركة النواس) .

والمرتكزة اما امامية او خلفية .

والنائسة اما من اليمين الى الشمال وبالعكس ، واما من الامام الى الوراء وبالعكس .

والحركة ايضاً اما حرة واما تابعة .

فالحركة هي التي تتم لوحدها بدون ان ترتبط بغيرها .

والتابعة هي المرتبطة بغيرها ولا تتم الا بصاحبتها .

والحركة ايضاً تكون : هوينى وسريعة وخفيفة وثقيلة وبطيئة ، ومتسارعة ، ومتثاقلة ومتباطئة . كما انها تكون مدلة ، او رعناء ، او فريدة او ثنائية ، او متزاوجة ، او متناوبة او متسارعة متناغمة او متنافرة ناشزة .

والجسم بالنسبة لهذه الحركات يقسم الى اربعة اقسام :

١ ــ الرأس ٢ ــ اليدان ٣ ــ الجذع ٤ ــ الرجلان

فللرأس حركات وهي: التيامن والتياسر والوراء والامام ونصف الاستدارة .

ولليدين اربع عشرة حركة يشترك فيها التناوب والتثني والنوسان والاستدارة .

وللجذع ــ كما للرأس ــ ست حركات .

وللرجلين اثنتا عشرة حركة بين شاقولية ونائسة ومرتكزة ، ومنثنية .

والحركات على انواعها تنتهي بقفلة كما في النغم . والقفلة تعني نهاية الدور سواء كان حركياً او نغمياً .

والدور الحركي او النغمي عند العرب اما ثنائي او ثلاثي او رباعي حتى الثماني ، اما الدور عند غير العرب فقد يتجاوز هذا العدد .

وقد يتم الجمع احياناً بين الدورين فيتولد دور ثالث له خصائصه ومميزاته ، وهي مزيج من خصائص كلا الدورين .

ولقد بدأت حركات الدور الغربي تتسرب وتأخذ طريقها الى الدور العربي .

وعدد الحركات الايقاعية الاساسية عند العرب عشر وهي : مفردة ، ومثناة ، ومثلثة ، وخفيفة ، وسريعة ، ومتسارعة ، وثقيلة ومتثاقلة ، وبطيئة ومتباطئة .

ومن الجمع بين كل حركتين من هذه الحركات نحصل على ضرب جديد من الايقاع فاذا جمعنا مفردة ومثناة أو بطيئة وسريعة ، او ثقيلة وخفيفة ، أمكن ايجاد هذا الضرب الجديد وعلى ذلك يمكن ان نحصل على مجموع الضروب العديد ، بضرب كل حركة من هذه الحركات بالمجموع فيكون لدينا ١٠×١٠=١٠٠ ضرب .

كما نستطيع من الجمع بين كل ثلاث حركات ان نولد ضربا آخر ويكون لدينا ايضاً ١٠×٣=٣٠ ضربا ايقاعيا .

كما نستطيع ان نخلق ضروبا جديدة من إفراد احدى الحركات وازواج الثانية اوتثليثها وهكذا الى مالانهاية له .

وتظهر هذه المرونة التي يتحلى بها الايقاع عند العرب في الشعر ايضا، فنحن نعلم ان بحور الشعر ستة عشر بحرا وتأتي البحور المجزوءة والمشطورة والمنهوكة فنحصل على ثمانية واربعين ضربا .

وعلى هذا فهل نستطيع ان نجد جذرا للاسطورة القائلة ان داوود كان يعزف على ثمانية واربعين وترا ؟

ومحاولة الجمع بين الدور العربي والاجنبي ـ نغما وحركيا ـ ليست بنت العصر الحاضر فقد تمت هذه المحاولة منذ العصر الأموي .

يروي أبوالفرج الاصبهاني في أغانيه : انمسلم بن محرز ـ وهو تلميذ للمغنية (عزة الميلاء) المعروفة في العصر الأموي ـ قد تغيب عن مجلس اصحابه مدة فتفقدوه فلم يعثروا له على أثر ، ثم عاد اليهم اخيراً وغناهم غناء لم يسمعوا بمثله من قبل ، ولما استوضحوه جلية الخبر قــال : خرجت الى اطراف البادية ولابست جماعة من الفرس وتعلمت منهم هـذا الغناء . فأجمع رأي اصحابه بعـد ذلك على ايفاده الى فارس فبلاد الروم على نفقتهم ليتعلم غناءهم ويعود اليهم بكل ما لدى القوم في هذه الصناعة . فقام بالمهمة خير قيـام وتنقل بين بلاد فارس ، وبلاد الروم وتعلم ايقاعهم وغناءهم وعـاد الى بلاده . ولكنه اصيب بالجدري وهو في دمشق فترك في وجهه ندوباً وحفراً . فوضع على وجهـه قناعاً وظل يغني مقنعاً طوال حيـاته .

وبعد هـذا نتساءل ، ماهو المدى الذي بلغته المؤسسات الفنية العربية في احياء هذا التراث ؟ وما هو الدور الذي أداه المسرح العربي في هذا المجال ؟



ساسكيا

حب رمبرانت الوحيد

للكاتب الفرنسي برنار كلافيل

ترجمة جروان السابق



(رمبرانت وساسكيا) بريشة رمبرانت

ولد رمبرانت فان ريجن في مدينة ليد في هولندة عام ١٦٠٦ وكان أشهر فناني زمانه ، وأعند مدافع عن الرسم الهولندي تجاه نفوذ الفن الايطالي ، والأول الذي اكتشف المصادر الحقيقية للعتمة ، او « ظل النور ».

عاش حياة شاقة معذبة واضطر ، بعد ان عرف الثروة والمجد في الثانية والعشرين من عمره ، أن يحس بالحرمان الشديد ، والنكبات ، وان يحتمل هجمات معاصريه الحاسدين الذين كانوا يضيقون بعبقريته ، حتى انتهى الى مايشبه البؤس . أما عبقريته فلم تهمله ابداً في احلك أيامه . ومات في امستردام في ٨ تشرين الأول ١٦٦٩ .

، نهض الرجل متمهلاً ، ووضع على الطاولة الصغيرة ، الى جانب مسند التصوير اقلامه ،والقضيب الذي يستعمله في اسناد يده اليمنى اثناء الرسم ، وابتعد. فالغرفة الصغيرة التي تختفي زواياها في الظلمة لايلجها الا نتف من اشعة الشمس شبه الحزينة . وما زالت اللوحة التي انتهى رسمها مرئية . انها صورته ،بوجه منحن ، و كتفين كالمكتوفتين باعباء العياء ، لكن البسمة ، واشعة البصر ترسمان التحدي لكل هذه الاثقال . اما الآن فالرسام المتعب ، المتألم العينين من التحديق لا يبتسم ، وقد فارقته الرغبة في الاستخفاف بالناس . وهذه الليلة التي تغص بالستائر والاثاث تولد فيه الضيق والشدة .

بلغ رمبرانت الثالثة والستين من عمره في منتصف شهر تموز من عام ١٦٦٩ ومع ذلك كان يبدو عجوزاً هرم دفعة واحدة ، في بضعة اشهر ، منذ ايلول المنصرم بعد ان اودع ابنه الثرى . مات تيتوس في السابعة والعشرين من عمره تاركاً

زوجته الحبلى التي ولدت طفلة اسمتها تيتيا بعد ستة اشهر من موت ابيها. هكذا لم يبق للرسام من تلك الأسرة الا مجد لينا البائسة التي تقلقه صحتها، وكورنيليا ابنته من هنديركلغ زوجته الثـــانية، التي تبلغ الخامسة عشرة، جميلة، وسليمة البنية. وهي التي تهتم بالطفلة والبيت، بيت رود نغراشت الذي لا يحبه.

غطى الرسام رأسه بكم عريض، ومضى نحو السرير الذي تنام فيه تيتيا قبل ان يخرج وتمتم:

ــ ساسكيا، ساسكيا!

وكان يفكر بساسكيا كلما انحنى فوق حفيدته. اما هذا المساء فانه يفكر بها ملياً بسبب تاريخ اليوم، الرابع عشر من حزيران، ذكرى موتها. ومنذ الصباح يصارع رغبة الذهاب نحو الشارع القريب من جسر القديس انطوان، ليشاهد البيت، وجدرانه وسقفه، البيت الذي لم يعد ملكه، وان كانت ذكرياته، واحلى ذكريات حياته تستقر فيه.

مازالت سماء المساء مضيئة. ومياه القناة تنير واجهات المنازل التي تتراقص عليها انعكاسات الأمواج. فسار الرسام اثر الرجلين اللذين يجران زورقاً. وكأنه لا يمشي، وراءه يجر ثقل حياته. ويبدو له شهر حزيران هذا العام اطول من شهور السنين السابقة. يشعر به مؤلماً لا ينتهي. انه حزيران الذي يلخص فيه كل حياة ساسكيا، وبالتالي حياته، لأنه لا يحسب من عمره الا السنوات التي عاشها بقربها.

.. في ربيع عام ١٦٣٢ كان رمبرانت الذي يبلغ السادسة والعشرين من عمره، فتى متوسط القامة، قوي البنية، مندفعاً للعمل، يرسم ويرسم ولا يفارق مرسمه، والبلاد تعتبره، معلمـــاً، وكم من طالب جاءه يطلب منه النصائح. انه الرجل الذي لا يلهو ابداً، الرجل الذي يجد في الفن رفيقه الوحيد.

وقد تفوق هذا العام على زملائه عندما رسم لوحة «درس تشريح الاستاذ تولب».
واصبح منذ ذلك الحين الرسام الذي لا تدفع له اثمان لوحاته غالية وحسب ، وانما الرجل الذي يتوسل اليه الناس ليحصلوا على هذه اللوحات . واذا كان الزبائن يصبرون في انتظاره لمقابلته ، فان ساسكيا الشابة الحسناء ابنة فان اولبورغ تعجز عن هذا الصبر ، ولما تبلغ العشرين من عمرها . وقد عاشت يتيمة منذ الثانية عشرة لدى شقيقاتها وبنات عمها وابن عمها هندريك بائع الصحف واللوحات الفنية الذي كان صديق رمبرانت . وقبل رمبرانت أن يرسم للشابة صورة بيضوية الشكل بعقد من اللآلىء ، وباقة من الدانتلا الدقيقة في وضع تغطي فيه رشاقتها الملامح الثقيلة نوعاً ما في وجهها . فهل اراد الرسام ان يرسمها هكذا ليستطيع ان ينظر بكل حرية ؟ ام ان ساسكيا هي التي آثرت ان ترسم على هذا الوضع ؟ وما كاد ينتهي من عمله حتى تأسف لأنه لم يشعر من قبل بما في بصر هذه الشابة الثاقب ذي اللون الاصهب الذي يستقبل النور بتوحاب . واذا طلب من ساسكيا ان تعيد الكرة بوضعيتها :

— ينبغي ان نعود : لانني اريد ان ارسمك رسمة اخرى .

— لكن ...

والخجل يلف ساسكيا ، وتغض طرفها بعد ان تلونت بما يشبه الحمرة . وحينئذ تجرأ الرسام :

— يجب ان تسمحي لي ان ارسمك بوضعية اخرى ، ارسمك من أجلي ، من اجل بهجة الرسم التي اجدها بقربك .

نطق هذه العبارة بصوت منخفض ، مما كان متأكداً ان ساسكيا سمعتها . وحتى الآن لم يعرف الا سرور العمل العميق ، قلم الرصاص على الورقة ، واللون

على المطنة ، فالرسمـــة ، فالالواح الخشبية التي اختارها بحب ومودة . فهل يوجد حب آخر غير حب الرسم ؟

وليتنظر الزبائن بعض الوقت لان ساسكيا ستعيد الكرة . وتأخذ وضعاً جديداً ؛ يزينها المعطف الموشى بالذهب الذي يحبه رمبرانت حباً خاصاً . تأخذ وضعاً جديداً من اجل الدروس التي ينتزعها منها بحميـــة وحرارة ، لم يسبق له ان اضافها في صورة ساسكيا الاولى . ويدرك رمبرانت وهو يقابلها ـ ولو كانا ينظران الى بعضها في صمت الساعات الطوال ـ أن الفن لا يتطلب وحدة مطلقة مطبقة كحياة التقشف التي يعيشها منذ سنوات . وبين النموذج الذي يوسم والرسام ، يعبر مايشبه الموج الذي يتفوق على آلاف كلمات الحب . ومن ثم فان بعض حركات ساسكيا تحمل تعبيراً اقوى من معاني الكلمات . ولمانهضت لتستريح بين جلستي الوضعية لم تقاوم رغبتها في مداعبة تحفة جميلة ، وتنظيم بعض الاشياء في المرسم ، او اطالة النظر باحدى الرسوم . فهل كانت تشبه بالشغف بالتحف التي تكوّن دفء البيت والمسكن ؟ وهل يعقل وجود الدفء في مسكن حقيقي دون وجود مثل هذه الحسناء ؟

توقف رمبرانت عن الرسم فجأة ، ونهض وتقدم نحو المقعد الذي تجلس عليه ساسكيا ، وقال :

ـ اليس لك بيت ياساسكيا ؟

وصمت ، فالتمعت عينا ساسكيا بغتة ، وخفضت طرفها .. استقرت هذه الفكرة ـ فكرة بيت الحب الدافىء والصامت ـ في قلب الرسام العجوز حتى مساء حزيران من عام ١٦٦٩ حيث كان الظلام يستولي تدريجياً على شوارع امستردام . وكان قد وصل الى جانب جسر القديس انطوان ، وقبل ان يسلك

الشارع المطلوب ظل بضع دقائق ينظر الى ضباب النور الذي يبتعد ، وهو بجابه المباني وانعكاساتها . ولما وصل اخيراً البيت الذي كان مسكن ساسكيا ، ومسكنه ، توقف عن المسير . كانت نوافذ الطابق منارة . فتأمل اقواسه من خلال العقود . وكانت الستائر تخفي بعضاً من داخله ، والنور لايكفي لتميز مختلف الاثاث . فحنى الرسام رأسه ، ومسح عليه بقفا يده ، واستأنف طريق الرصيف متمهلاً . فما كان البيت الا ميتاً بنظره ، ميتاً منذ ان ماتت ساسكيا .

وقبل ان يكتشف رمبرانت وساسكيا هذا البيت انتقلا بضع مرات ، وبحثا طويلاً ، وهما يحلمان بمثل هذا المنزل الذي لايضم سواهما . واخيراً وجداه في ربيع عام ١٦٣٩ واقاما فيه منذ مطلع ايار ، وفي الرابع والعشرين من شهر حزيران يستطيعان ان يحتفلا فيه بعيد زواجهما الخامس . خمس سنوات من السعادة ، المفعمة بالحلم الذي تحقق اخيراً . واشترى رمبرانت البيت بثلاثة عشر الف ليرة ، لكنه لم يدفع منه الا الفاً ومائتي ليرة ، ولم يكترث لما تبقى من الدين . ورمبرانت لايتوانى منذ زواجهما عن اغراق ساسكيا بالهدايا . فملأ البيت بالاثاث والتحف الثمينة . والبيت يتألف من ثلاثة طوابق ، لكن المرسم هو الذي يحتوي على الاشياء الغالية المفضلة لديها لان معظم وقتها يقضيانه في هذه الحجرة الدافئة التي يستقر فيها حبها .

الموت بالمرصاد ...

انتظم كل شيء في مكانه : الاوسمة ، والاسلحة المرصعة بالذهب ، والمراوح اليدوية ، والانسجة المصنوعة في آسيا ، والصناديق الصغيرة الملأى بالحجارة الثمينة الكثيرة الالوان ، وكذلك الحيوانات وجدت اماكنها لتلهو بها

الشابة الحسناء . هنا كانت سعادتها ، فيحسان حولها بآلاف هذه التحف الصامتة ، وكأنها الشهود على حبها ، وبهجة حياتها ، ولكم يستحسنان صمت هؤلاء الشهود ؟

وتقوم المدينة الصامدة حول بيتها المغلق ، ويتكاثر اصدقاء الرسام ، والمعجبون به ، وكذلك الحاسدون الذين يحسدون سعادتها ، ولا يضنون عليها بالاشاعات . وانقضت ثلاث سنوات ، فأراد رمبرانت ، ان يرسم الشباب ، وهذه النشوة الحية التي اكتشفها في حياتها المشتركة . ورسم لوحة ظهر فيها يحتسي الخمرة مع ساسكيا ، وهو يسجد على ركبتيه . وتكلم الناس بعد ذلك عن سلوكه الفظ وابتذاله ، وهذا الشكل الذي يشرح فيه سعادتها بكل حرية . تلك السعادة التي تثير حسد الذين يفتقرون لعبقريته ، وثروته وحظه بامتلاك هذا الكنز الذي ليس الا ساسكيا . واستمر رمبرانت يرسمها ، وجمالها يتعالى ويسمو . فهل كان يراها هكذا بعينيه المحبتين ؟ ام ان السعادة هي التي حولت هذه الحسناء الى مثل هذا السحر ؟ والصورة الوحيدة التي قيّمت وجهها انما تقيم هي الصورة التي رسمها عام ١٦٣٥ ، وقد ألبسها رمبرانت اجمل اثوابها ، وكان الى جانبها ، وكأنه غير منظور او ان نور النهار كان يسطع من أجلها وحدها .

واتاحت لهما سعادتها التي برزت في هذا الاتحاد الصامد بينها ان يجابها الحياة ، وكل ما تضمر لها من قسوة . لكن الثروة والحب المشتركين لا يكفيان للسعادة الكاملة ، اذ ان هناك الموت الذي سيطرق بابها اربع مرات ، مرة عندما اختطف الموت والدة الرسام وثلاث مرات لما اختطف ثلاثة من اولاد ساسكيا فلم يبق لهما منهم إلا تيتوس الذي اصبح بعد حين السبب الموحي للرسم . وبعد ان رسم ساسكيا وحدها في مختلف الوضعيات ، بدأ يضيف اليها حينما يرسمها تيتوس واولادها الآخرين .

وكان كلما احجم عن الرسم فكر باولادها ، وبهذه الاسرة ، وهذا العمل وهذه الحياة . الم يرسم قبل ولادتها تيتوس تلك اللوحة الصغيرة التي يرى فيها بيت النجار ؟ وكان الرجل فيها ينشر ألواح الخشب ، والمرأة تعطي نهديها صغارها ليرضعوا ، وتبدو الجدة كأنها تلتهمه بعينيها . من السهل ان يكون المرء سعيداً اذ لا يحتاج في هذه الحالة الا الى شجاعة العمل والاقدام وماتبقى فهو طبيعي ميسور . والشجاعة لاتنقص هذا الرجل طالما ان عبقريته لاتتوانى عن اثبات شخصيته التي تكونت طبيعتها الحقيقية من النور بصورة لاشعورية .

طلب منه هذا العام اعيان المدينة الفرسان الذين يحبون ان يمثلوا دور الجنود ان يرسم لوحة في ذكرى يوم سباقهم للرمي ، وولمتهم .وقد رسم فرانس هال ، وغيره من الرسامين مثل هذه المواضيع المطلوبة لكن رمبرانت لايرسم الا نادراً مثل هذه اللوحات الواسعة التي يبلغ طولها خمسة امتار وعرضها اربعة امتار .

وقد اصبح بعد رسم لوحة درس التشريح رجلاً متحرراً من كل اكراه ، رجلاً يشعر بان من حقه ان يرسم اللوحة التي يشاء ، ولو كانت بناء على توصية . بالاضافة الى انه يرى في هذا الموضوع المناسبة لرسم قطعة فنية عظيمة . ويتلهى بعنصري الظل والنور ، ولا يكترث بالفرسان بقدر مايهتم بان يرسم . لكنه من المؤكد ان بعض الحريات لاتستباح ، وان استبيحت من قبل العباقرة فلا بد أن يدفعوا ثمنها .

لكن رمبرانت كان يفكر بشيء آخر . فساسكيا تبدلت منذ ولادة تيتوس . واصبحت ملامح وجهها مخطوفة ، وغدا الداء الذي تشكو منه مخيفاً . ولم يعد الرسام يعرف اذا كانت الحمى التي تلتمع في عينيها هي الداء بالذات . وجاءها الموت هذه المرة فتركه حزيناً يائساً . وابتاع لها قبراً في الكنيسة القديمة

قرب مقر الارغن الصغير . فهل يستطيع بعد الآن ، في غياب ساسكيا ان يتابع الرسم ؟

صورة لم ترسمها ريشته

ورسم ايضاً بسبب تيتوس الذي يريد له اثبات وجوده ، ولأنه اصبح هائماً بشيطان الرسم .لكن الصورة التي اوصى عليها اعيان المدينة قد حملت الى شهرته صدمة رهيبة . فلم يبق رمبرانت الرسام الذي يعطي املاً بالحصول على الشيء المفضل منه . واصبح المال لايأتيه بالسهولة الاولى ، وتابع انفاقه كما كان في أوج مجده ، حتى وصل درجة الافلاس . وسرقه بعضهم وطاردوه،فاضطر ان يبيع بعد حين كل ماجمعه برفقة ساسكيا قطعة فقطعة .

ولم تستطع (هندريكج ستوفيل) ، التي انشأت وربت ابنه بعد أن تزوجها ان تعوض عن ساسكيا . وعاد الى بيته القديم بعد ان باع البيت الذي اشتراه . وماتت ساسكيا ، ومات تيتوس ثم ماتت هندريكج ستوفيل فلم يبق له الا طفلتان .

ثم اضطر ذات يوم بعد ان ألح عليه العسر ان يبيع قبر ساسكيا، فماذا بقي له من تلك المرأة التي كانت له كل حياته ؟ أليس كل مايحمله في قلبه العجوز كانسان جريح هذه الصورة التي رسمها قلبه لاريشته ولن يرسمها بعد الآن ؟



مجموعات «المعرفة» المجلدة

يسر ادارة مجلة «المعرفة» أن تعلم قراءها واصدقاءها عن وجود كميات محدودة من مجموعات مجلة «المعرفة» منذ صدورها مجلدة — كل أربعة اعداد في مجلد واحد — وادارة المعرفة مستعدة لارسالها لطالبها بثمن ٢٠ ليرة سورية لمجموعة السنة الواحدة المؤلفة من ثلاثة مجلدات يضاف اليه اجرة البريد للخارج، حسب رغبة صاحب الطلب.

يرجى ان يكتب الى محاسبة مجلة «المعرفة» وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي — دمشق — مع ارفاق الطلب بالثمن المذكور. والمحاسبة مستعدة لتقديم المعلومات اللازمة بشأن التحويل من الخارج والارسال بالبريد العادي أو الجوي وفق الطلب.

مشروع تأليف كتاب

عن الوطن العربي

من المنتظر ان تكون قد اجتمعت قبل صدور هذا العدد – في قاعة المجلس الأعلى للجامعات – اللجنة المركزية التي شكلتها ادارة التربية والثقافة في رئاسة الدولة لتأليف كتاب عن الوطن العربي وقد وضعت خطة الكتاب بحيث يضم فصولا عن الخصائص الطبيعية في الوطن العربي، والأمة العربية، والاقتصاد في الوطن العربي، والوطن العربي بين التجزئة والتطلع الى الوحدة، والوضع السياسي للوطن العربي.

يبدأ فصل (الخصائص الطبيعية في الوطن العربي) بتحديد الموقع من وجه الأرض ومن العالم القديم (أوراسية وأفريقية)، ثم يبين أهمية الموقع عبر التاريخ وخاصة في العصر الحديث، والحدود الطبيعية، والتركيب الجيولوجي العام، والسطح، والمناخ، والمياه السطحية والجوفية، والتربة، والنبات، والحيوان ويختم، بملخصات احصائية.

ويتحدث فصل (الأمة العربية) عن العرب وأصولهم ، وحركة التوطن في الوطن العربي، والحضارة العربية ومكانتها من الحضارات ، واللغة العربية باعتبارها عامل وحدة ، الى ان يشرح دور العرب الحديث في قارتي افريقية وآسية، ويتحدث عن توزع السكان وعوامله ، وحالة عدم التوازن في التوزيع وأضراره ، والحاجة الى تخطيط سكاني ، والموالد والوفيات وفئات الأعمار، والهجرة في النطاقين الداخلي والخارجي ، والمغتربين العرب ، والمدنية العربية وتطور الأوضاع الاجتماعية والمعاشية ، ونسبة العمال وتوزعهم ، والبطالة ، والمرأة والعمل ، وأنواع العمل ، والعمل الحديث والعمل التقني ونشأة الحياة النقابية وتطورها ، وحركة التعريب ، والتعليم والمدرسة ، وتطور التعليم ، ونسبة المتعلمين والأمية ، وأنواع التعليم ، ودور التعليم في زيادة الوعي القومي العربي ، والتعليم العالي (الجامعات والمعاهد العليا) ، والعلاقة بين خطط التعليم والتنمية ، والتيارات الثقافية في الوطن العربي ، والوحدة الثقافية العربية ، ويختم الفصل بملخصات وإحصائية .

ويبدأ فصل (الاقتصاد في الوطن العربي) بلمحة تاريخية ، ثم يبين أثر الموقع والعوامل الطبيعية وسمات الاقتصاد العربي المعاصر ، ويتحدث عن الزراعة ومشاكلها والمنتجات الزراعية الكبرى، والثروات النباتية الطبيعية والتحريج ، والثروات الحيوانية وارتباطها بالبيئة ، والثروة المائية ، والثروات الباطنية والصناعة الاستخراجية ، والبترول ، والصناعة ومشاكلها ، والمنتجات الصناعية، والتجارة والوساطة والنقل ، وميزان التجارة والمدفوعات والنقد، والمواصلات العربية الرئيسية ، وخطط التنمية الاقتصادية العربية ، والوحدة الاقتصادية العربية ، والسوق المشتركة، ويختم الفصل باحصاءات اقتصادية .

ويبدأ فصل (الوطن العربي بين التجزئة والتطلع الى الوحدة) بلمحة تاريخية ، ثم يتحدث عن الدولة العربية بين الوحدة والتجزئة ، والحركات العربية في القرن العشرين ، والكفاح في سبيل الوحدة ، والجامعة العربية ، والمواثيق والمعاهدات ذات الطابع الوحدوي ، والوحدة في مضمونها الجماهيري باعتبارها لقاء في النضال ضد الاستعمار والأمبريالية وفي سبيل البناء والتكامل داخل الوطن العربي ، ويختم الفصل بالإشارة الى الوعي القومي الاشتراكي لدى المواطن العربي ، ومفهوم التقدم والمشاركة في الحضارة .

أما فصل (الوضع السياسي للوطن العربي) فيتحدث عن دول الجامعة العربية المستقلة (الجمهورية العربية السورية ، الجمهورية اللبنانية ، المملكة الأردنية الهاشمية ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، المملكة العربية السعودية ، الجمهورية العربية اليمنية ، الجمهورية العربية المتحدة ، جمهورية السودان ، المملكة الليبية ، الجمهورية التونسية ، الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية ، المملكة المغربية) ، وعن جمهوريتي الصومال وموريتانيا المعتبرتين ضمن الوطن العربي ، وعن المناطق العربية السائرة في طريق التحرر واستكمال السيادة (إمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية من عمان الى عدن ، الساقيتين الحمراء والذهبية وافني من المغرب ، جيبوتي من الصومال) ، وعن المناطق المغتصبة من الوطن العربي (الاسكندرون ، فلسطين ، عربستان ، أريتريا ، مليلا وسبتة) .

شكلت لتأليف كل فصل لجنة فرعية تجتمع بدعوة من مقررها وتضع تقريراً بجميع المواضيع التفصيلية المنبثقة عن الموضوع الكبير ويصار الى ترتيب هذه الموضوعات التفصيلية . تعرض تقارير اللجان الفرعية على اللجنة المركزية لتقوم هذه بتقسيم الموضوعات وتوزيعها على

المسهمين في تاليف الكتاب وذلك بعد استمزاج رأيهم واتجاه اختصاصهم. تقدر اللجان الفرعية عدد الصفحات الكافية للموضوع الكبير إجمالاً وتفصيلاً، وتقترح حاجتها للمراجع والخرائط.

تضع عناصر مقدمة الكتاب لجنة مؤلفة من الاساتذة سليمان الخش مقرراً والدكتور صلاح الدين عمر باشا وفؤاد الشايب وأحمد الفتيح والدكتور محمد الفاضل وأديب اللجمي ومصطفى الحاج ابراهيم والدكتور عبد الرحمن حميدة أعضاء.

تتألف لجنة (الخصائص الطبيعية في الوطن العربي) من الدكتور عبد الرحمن حميدة مقرراً والاستاذ مصطفى الحاج ابراهيم والدكتور عادل عبد السلام وفؤاد ساطع اعضاء.

تتألف لجنة (الأمة العربية) من الاستاذ اديب اللجمي مقرراً والدكتور نور الدين حاطوم والأساتذة أحمد الفتيح وعبد الحميد دركل وعدنان البني وسلامة عبيد وبشير زهدي وعيد عبدو اعضاء.

تتألف لجنة (الاقتصاد في الوطن العربي) من الدكتور صلاح الدين عمر باشا مقرراً والاساتذة فؤاد ساطع وأنور العقاد ومحمد نظمي العلاف وتيسير الرفاعي وخالد دهمان اعضاء.

تتألف لجنة (الوطن العربي بين التجزئة والتطلع الى الوحدة) من الاستاذ مصطفى الحاج ابراهيم مقرراً والدكتور محمد الفاضل والاساتذة أدهم مصطفى وعيد عبدو وأديب اللجمي وعبد الحميد دركل وموسى الخوري وحسين العودات اعضاء.

تتألف لجنة (الوضع السياسي للوطن العربي) من الدكتور عادل عبد السلام مقرراً والدكتور صلاح الدين عمر باشا والاساتذة ادهم مصطفى وموسى الخوري وابراهيم حامي الغوري والدكتور عبد الرحمن حميد اعضاء.

وشكلت لجنة للاشراف على طباعة الكتاب من الاساتذة فؤاد الشايب مقرراً والدكتور عادل عبد السلام

وابراهيم حلمي الغوري وخالد دهمان وحسين الغوري اعضاء .

وقد كلف الدكتور عادل عبدالسلام والأستاذ ابراهيم حلمي الغوري ومن ترى اللجنة تكليفه ، القيـــام بأعمال الخرائط ورسم الجداول البيانية .

أما اللجنة المركزية فتألف من الدكتور صلاح الدين عمر باشا رئيساً والاستاذ احمـــد الفتيح نائباً للرئيس والاساتذة الدكتور نظيم الموصلي وفؤاد الشايب والدكتور محمد الفاضل وأديب اللجمي وعبد الحميد دركل ومصطفى الحاج ابراهيم والدكتور عبد الرحمن حميـــدة وخالد دهمان وحسين العودات اعضاء .

وتتألف امانة سر مشروع الكتاب من الاساتذة احمد الفتيح ومصطفى الحاج ابراهيم وخالد دهمان وحسين العودات .

ان هذا المشروع الجليل ، اذا قدر له ان يبلغ نهايته وفق الخطة المرسومة ، سيكون من أهم احداث الثقافة القومية العربية ، في النصف الثاني من القرن العشرين . ولاشك ان كتاباً مثل هذا في محتواه وسعة أفقه ، ودقة تخطيطه ، سيكون مدرسة للاجيال العربية ، من احدث طرز المدارس التثقيفية التوجيهية ، القائمة على اساس علمي صحيح .

لغة عمل في اليونسكو

بقلم فريد حجا

بين الخامس والعشرين من شهر تشرين الاول ، والثلاثين من تشرين الثاني - الماضيين - عقد المؤتمر العام الرابع عشر لمنظمة اليونسكو في مقرها بباريس .

وكانت دورة المؤتمر هذه هامة جدا للاسباب التالية :

١ - لمصادفة الذكرى العشرين لانشاء منظمة اليونسكو اثناء انعقادها (٤ ت ٢) .

٢ - لأهمية انتخابات المجلس التنفيذي بالنسبة للدول العربية .

٣ - لارتفاع ميزانية الفترة القادمة (١٩٦٧ - ١٩٦٨) الى حوالي /٦٣/ مليون دولار .

٤ - لأن قضية استخدام اللغة العربية لغة عمل في اليونسكو قد عرضت في هذه الدورة وأقرت .

* * *

ولقد اتيح لي حضور المؤتمر ، وكان

لي شرف الاستماع الى القرار العظيم الذي اتخذته المنظمة تعبيراً عن تقديرها للغة العرب حين اضافتها لغة خامسة رسمية «لليونيسكو» الى جانب اللغات الاربع الاخرى (الفرنسية والانكليزية والروسية والاسبانية.) .

فكانت العربية اللغة الاولى غير الاوربية التي تدخل المنظمة العالمية للتربية والعلم والثقافة، دخلت المنظمة بعد جهاد استمر ستة اعوام ، ووقف على الباب يدفعها عنه دهاقنة الاستعمار ، هلعين على ثقافاتهم ، متذرعين بالحجج الواهية .

ولكن تضامن العرب، وسند المعجبين بلغتنا وحضارتنا وتراثنا العظيم الذي حمل مشعل المدنية في القرون الوسطى ، كل ذلك انتصر على المؤامرات والمناورات .

وقالت المنظمة في قرارها بلسان احد رؤساء الوفود : « ان تكريمنا للعربية تكريم للغة حضارة رائعة ، وتعبير عن اعتراف لهابجميل طوق اعناق البشرية ، قبل الف عام » .

وقبل ان يفتح الباب للغتنا على مصراعيه استمعنا الى كلمات طيبات من مندوبي الهند واندونسيا وباكستان وايران والصومال تشيد باللغة العربية وأثرها في لغات الشرق والغرب .

استمعنا الى مندوب الصومال يشيد بالنور الذي اشعته العربية في افريقيا ، فكانت كلمته رداً على الدعايات المغرضة التي جهد الغرب في بثها ضد العرب بين الافريقيين .

والى مندوب اسبانيا يقول : ان سنوات الحكم العربي لبلده ، كان شمساً وحضارة وثقافة . وان الاسبان بعد ان تخلصوا من العقد الماضية قد ردوا الاعتبار للقرون الثمانية التي عاشها العرب في اسبانيا . انها جزء من تاريخهم يعتزون به ، ويعضون عليه بالنواجذ ،ويفتخرون بمليون مخطوطة عربية تضمها مكتبة الاسكوريال ، وبجامع قرطبة العظيم ، وبحمراء غرناطة الرائعة المتحدية للدهر ، وبتراث ادبي فلسفي فني خالد .

واستمعنا الى مندوب ايران يشيد باليد الكريمة التي اسدتها العربية الى حضارة الفرس ولغتهم ، ويلقي محاضرة مطولة عن الآثار التي قدمها علماء وفلاسفة ومؤرخون فرس باللغة العربية ، وعن التأثير المتبادل بين المدنيتين الكبيرتين الفارسية والعربية .

وحتى مندوب الولايات المتحدة الامريكية ، وكان بين المتاورين المداورين ، لم يسعه الا ان يعترف — وهو استاذ للفلسفة كبير — بأنه لولا العرب لما عرف ارسطو الفيلسوف العظيم الذي يعجب به .

* * *

وقد عقدت اللجنة الادارية المتفرعة عن المؤتمر العام اربع جلسات لدراسة مشروع القرار العربي الذي يدعو لاقرار اللغة العربية لغة عمل .

— الاولى بتاريخ ١٩٦٦/١١/١٤ وفيها عرض مشروع القرار وجرت مناقشة حوله ، واستمعت اللجنة الى رأي المدير العام وامانة السر فيه .

وقد تقدم مندوب الولايات المتحدة بمشروع تعديل كبير للمشروع العربي ، وجرى نقاش حوله ثم أجل النظر في القضية الى يوم اخر .

— والثانية بتاريخ ١٩٦٦/١١/١٦ ، وفيها تقدم وفدا الكويت والسودان بتعديل بسيط على المشروع العربي ، وتقدم وفد الولايات المتحدة بتعديل عليه ايضاً .

وبعد مداولات أجل النظر في القضية إثر طلب رئيس وفد الولايات المتحدة الاجتماع بوفود الدول العربية للاتفاق على مشروع قرار موحد .

— وكانت الجلسة الثالثة بتاريخ ١٧ / ١١ / ١٩٦٦ ، وفيها سحب مندوب الولايات المتحدة الامريكية مشروع تعديله وأعلن تأييده للمشروع العربي الجديد الذي تقدمت به الدول العربية كلها . وبعد مناقشة مطولة وتعديلات تقدمت بها وفود بريطانية والمانيا الغربية والاتحاد السوفيتي رفعت الجلسة الى اليوم التالي .

– وقد عقدت الجلسة الرابعة بتاريخ ١٨ / ١١ / ١٩٦٦، وكان عمل وفود الدول العربية رائعاً ومنظماً ، فاضطر المندوب البريطاني الى سحب ثلاثة من تعديلاته وابقى الرابع منها (والغرض منه القاء سهم اخير ضد المشروع العربي ، بالطلب الى المدير العام للمنظمة الاتصال بالامين العام لهيئة الامم المتحدة ، وبرؤساء المؤسسات التي لها صلة بالمشروع) ..

وبعد التصويت على المشروع فقرة فقرة، وعليه بمجموعه ، أقر باكثرية (٥٠) صوتاً ضد (١١) صوتاً واستنكاف عشرة وفود . وكانت اللجنة قد رفضت التعديل البريطاني باكثرية (٣١) صوتاً ضد (٢٢) واستنكاف (١٨) وفداً عن التصويت . كما ردت المشروع الالماني (القاضي باضافة لغات اخرى الى جانب العربية) باكثرية (٤٠) صوتاً ضد (١١) واستنكاف (١٥) وفداً عن التصويت .

وقد لوحظ ان الدول الغربية (ماعدا فرانسا التي استنكفت عن التصويت) ومعها الدول الاسكندنافية قد صوتت ضد المشروع ، بينما ايده مندوبو الدول الآسيوية واميركا اللاتينية واغلب الدول الافريقية .

* * *

اما مشروع القرار العربي الذي اقر في اللجنة الادارية فنقدم الترجمة الحرفية له فيما يلي :

مشروع القرار العربي :

ان المؤتمر العام

١ – اذ يذكر بالتوصية (٨،٤) التي اقرها المؤتمر العام في دورته الحادية عشرة عام ١٩٦٠ والتي اعترف فيها باهمية اللغة العربية ، وحيث ان التوصية الحالية ماهي الا امتداد لتلك .

٢ – **وإذ يأخذ بعين الاعتبار** ان اللغة العربية هي اللغة القومية لمنطقة ثقافية هامة في العالم تعدا كثر من (١٣٠) مليون نسمة ، كما انها من اللغات الثقافية للعديد من شعوب آسيا وافريقيا .

٣ – **واذ يقدر** ان وثائق اليونيسكو

وتشرانها سيكون لها اكبر الاثر والصدى في الاوساط العربية اذا ماتم نشرها باللغة العربية .

٤ — واذ يؤمن بان استعمال اللغة العربية في اليونيسكو سيبرز اهداف المنظمة في الاوساط الشعبيـــة الناطقة باللغة العربية ويوسع التعاون بين اليونيسكو وبين الدول العربية في تطبيق البرنامج .

٥ — يقرر تبني الترجمة الفورية من العربية واليها في الجلسات العامة للمؤتمر العام وفي اجتماعات اللجنة الادارية ولجنة البرنامج وذلك بالاضافة الى ترجمة اهم الوثائق الى اللغة العربية .

٦ — ويدعو المدير العام لاتخاذ الترتيبات الكفيلة بتطبيق هذا القرار منذ الدورة الخامسة عشرة للمؤتمر العام، وذلك بواسطة اعتمادات خارجة عن الميزانية يمكن تأمينها لهذه الغاية، علما بانه لايجوز في أية حال من الاحوال ان يكون لتطبيق القرار اي تأثير على برنامج عامي ١٩٦٧ — ١٩٦٨ اوميزانيتهما. وينص في مشروع البرنامج والميزانية لعامي (١٩٦٩ — ١٩٧٠) على ضرورة توفير المبالغ اللازمة لتأمين الخدمات ذاتها في الدورة السادسة عشرة للمؤتمر العام وذلك بتحقيق مايمكن من توفير في باب النفقات الادارية.

٧ — ويدعو المدير العام لدراسة الوسائل الضرورية ليؤمن اللغة العربية وبشكل تدريجي الميزات نفسها التي تتمتع بها اللغات الاربع المعترف بها لغات عمل بموجب النظام الداخلي للمؤتمر العام، وبموجب قرارات المجلس التنفيذي، على أن لاتؤثر هذه الاجراءات على حسن سير برنامج اليونيسكو وعلى ارتفاع النسبة المئوية التي يجب ان تلحظ في المستقبل نفقات ادارية، وعليه أن يتقدم بتقرير حول هذا الموضوع الى المؤتمر العام في دورته الخامسة عشرة .

الفنانة :

- الآنسة اسماء فيومي .
- درست التصوير في كلية الفنون الجميلة بدمشق .
- تخرجت بدرجة امتياز شرف .
- بدأت بالواقع ثم انطلقت الى الاتجاه المعاصر في فهم الطبيعة وتحليل الاشكال .

اللوحة

تكوين :

لوحة تجريدية لاسماء من معروضها الاخير .

بقع لونية محصورة ضمن مساحتين زرقاوين ..

اللون يحتضن اللون المجاور له ، ليتصل بلون ثالث من نفس الفصيلة الا أنه يبقى محافظاً على كيانه الخاص به .

المجموعة مؤلفة من لون واحد ودرجاته ، وهو اللون الوسط بين مجموعة الالوان الحارة والألوان البـاردة ، وهو البنفسجي .

أما المساحات البيضاء ، فهي كالنغمة الموسيقية التي توحد بين هذه الاشكال .



الفنانة أسماء فيومي   لوحة تجريدية

ادبنا في المهجر

تكريم الشاعر فرحات

رسالة من سان باولو

وعدت (المعرفة) في العدد ٥٩ أن تنشر بعض المقالات والخطب التي كتبت وألقيت بمناسبة مرور خمسين عاماً على اول نطق شعري ألهم به الشاعر المهجري الياس فرحات .

وفيما يلي المقال الذي نشرته جريدة (برازيل لبنان) في ١٦ كانون الأول ١٩٦٦ ، ثم القصيدة التي ألقاها الشاعر فارس بطرس في الاحتفال :

« مساء الثامن من هذا الشهر اقيمت حفلة تكريم الشاعر الياس فرحات في مدينة باواور يزونطي بمناسبة مرور خمسين سنة على نشره اول قصيدة .

وقد اقيمت الحفلة في قاعة النادي السوري البرازيلي ، وحضرها وفود من سان باولو و كوريتيبا وجويزدي فورا ومدن اخرى . وبعد العشاء قدم السيد فؤاد فرحات عريف الحفلة الخطباء الذين تباروا يشيدون بمآثر فرحات وخدماته للعروبة ونضاله في سبيلها ويتحدثون عن شاعريته المترفة البليغة التي تعتبر بحق سجلاً للاحداث القومية في الوطن الاول والتي

تصور حياة الاغتراب تصويراً محكماً بليغاً ، وتفيض بالحكمة الزاخرة والصور المشعة والبيان الرفيع . وبعد ان تلا العريف برقية الحكومة السورية المرسلة من دمشق ، وبرقية القنصل العام في سان باولو المقدم محمد خضر ونوه عن البرقيات والرسائل الواردة من أدباء وشعراء ووجهاء واندية وجمعيات تعلن كلها اشتراكها بالحفلة وتقديرها الكبير للشاعر الكبير .

بعد ذلك تعاقب الخطباء والشعراء وهم السادة :

طلال ذبيان . لادزلاو سالس ناظر الصحة في الولاية سابقاً . الدكتور جورج كرم . الآنسة علياء حداد . فارس بطرس . نصر سمعان . توفيق برير . عبد اللطيف اليونس . ثم وقف ابن الشاعر المحامي عصام فألقى كلمة حافلة تضمنت شكر الجالية لتكريمهم والده الذي وقف حياته كلها لخدمة الادب وخدمة العروبة .

ووقف بعده الشاعر الياس فرحات تحف به هالة من مجد الشاعرية وجلالها وكمالها . وكأن السنين الخمسين كانت تتحدث كلها دفعة واحدة في منطق مشرق وايمان صادق وشعور شريف . ثم ألقى احدى قصائده الرائعة الخالدة التي ينبعث منها عطر الخلود ، وأريج العبقرية ، وشذا العقيدة المؤمنة التي عرف بها فرحات ، وما تنكب عنها يوماً فرحات .

وكان قبل ذلك قد قدمت له هدايا الجالية : تمثال جميل من البرونز يمثل آلهة الشعر وفي يدها الشعلة المقدسة . وهدية لجنة سان باولو . وهدية لجنة كوريتيبا .

وانفض الحفل في الساعة الثانية عشرة . وكانت ليلة من ليالي العمر وعرساً حافلاً من اعراس الخلود ، فنهنيء اللجنة في مدينة الأفق الجميل التي بذلت أقصى الجهد لاقامة الحفلة على مستواها الرفيع ونخص من اللجنة السيدة المثقفة سلمى عبد الله ، والسادة انطون كدرو عبده الصدي ويوسف فرح ، ادامهم الله ركناً للأدب والعرب .

هاك فرحات

شعر فارس بطرس

همسة الشعر ثورة في الخواطر   البوادي هبّت لها والحواضر
تتخطى الآفاق في مهمه البيد اشتعالاً في كل حرٍّ ثائرْ
تستفزُّ الشعوب للحق في استرداد ارضٍ من كل عاتٍ غادرْ
ينشر الشعرُ وثبة المجد فجراً   تقتفي نوره الظبى والقواصرْ
هو قيثارةُ الحنين عليها   كم شكا عاشقٌ وغرّدَ طائرْ
كم تغنّت به البلابلُ في الادواح فافترَّ كلُّ زاهٍ وزاهرْ
وُجد الشعر لارتياد المعالي   وتخطّي المدى وبعث المفاخرْ
كل شعبٍ يبغي الحياة انعتاقاً   من قيود استسلامه للمساخرْ
يرفعُ الشعرَ والعلوم لواءً   لاقتحام العلى ورفع المنائرْ
هاكَ فرحات.. شاعر العرب باقٍ   بعد خمسين حجةً في المنابرْ

ينفح الشعرَ كالازاهرِ طيباً يتحدّى طيبَ الرّياضِ النّواضرْ

شاعرٌ تهمسُ النجومُ له سكرى وتهفو لشدوهِ وهو ساهرْ !
تنطفي جذوة الشموس ويبقى أبد الدهر ساطع النور باهرْ
يشرق الفجر والكواكب من عينيه نوراً تشع منه السرائرْ
شاعرٌ ينظم الحياة قريضاً من سنا روحه ووثبات شاعرْ
هو إن شئت بلبلُ الروّض شادٍ وهو إن شئت ضيغم الغاب زائرْ
يرسل الشعر كالقنابل إعصاراً ليرْدي من بالعروبة كافر !!

* * *

إيه فرحات .. خذه يوم انتصارٍ تمّ فيه اتحاد أقوى الأواصر
ثورة العرب شعلة تغمر الابصار نوراً يمحو ظلام البصائر
تحشد النار والشباب مدى الآفاق زحفاً على العدو المجاور
هي ذي الشام كالأعاصير لاتألو انقضاضاً بجيشها والبواتر
يسحق العرب كل غازٍ دخيلٍ وعميلٍ وخائن ومكابرْ !



ندوة الأدب العربي

رسالة من بونس ايرس

اقامت « ندوة الأدب العربي » في بوانس ايرس (الارجنتين) حفلة كبرى ببهو مكتب جامعة الدول العربية بمناسبة مرور عامين على تأسيس الندوة . افتتح الاحتفال الاستاذ زكريا صارمي بالكلمة التالية :

الحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

عامان اثنان ، قضتها ندوة الادب العربي ، وهي في سبيلها الى الخير تسعى ، أملها الكبير ، أن تؤتي أعمالها الخيّرة ، أُكلها الطيبة . وهدفها الأسمى ، هو ان لا تبقى كالارض السلِفة او المرداء ، بل ان تصبح كالارض الشجراء ، لاتُنبت الا الألاء ، وأن تكثر فيها آيات الحسن وآيات البهاء . فيقبل الناس على شجرانها ، وقد أحلّت لهم آلاؤها ، يتفيأون ظلالها ويقطفون من ثمراتها ماطاب ذواقه وحان قطافه .

عامان اثنان ، هما في عمر الزمن

كومض البرق في نور الشمس . يبدوان خلا يُرى لهما ظل ، ويختفيان فلا يبقى منهما أثر .

ولكن العامين ، هما قطعة غالية من عمر الانسان ، وقد يمثلانه او يطاولانه فيربوان عليه . وما يقوم به المرء احياناً، من عمل مُجد في فترة قصيرة من الزمن، قد ينتشر خيره فيعم جيلاً او اجيـــالاً متعاقبة من الناس .

ايها الاخوة .

ان ندوة الادب العربي ، تحتفل الليلة بعيد ميلادها الثاني ، وهي رافعة الرأس، عالية الجبين ، راسخة القدم .

وهي فخورة معتزة بانتصارها على الهزيمة التي كثيراً ما حطمت معنوياتنا نحن العرب المغتربين، وكثيراً ما اذاقتنا الأمرّين . نحملها احيـاناً في نفوسنا ثم يتغلب علينا شبحها المخيف قبل ان نضع اقدامنا على ارض المعركة . فنضعف بعد قوة ، ونلين بعد شدة ، ونتراجع بعد إقدام. ولنا منقدرتنا وطاقتنا على النجاح والفوز ، مـا لو آزرتهما ارادة ابّدة ، وايمان قوي ، لما كان لأحد في الناس ان يقع بصرُه على مآتينا مالم يرفع بصرَه الى اعالي الذرى .

* * *

شرف لندوة الأديب العربي عظيم ، أن ترفع بينها راية العروبة في هذا المهجر النائي . وشرف لها ان تعمل في سبيل تحقيق الأماني الحائرة التي يحملها كل عربي غريب يقدس عروبته ، ويجـــل لغته ، ويحترم أصله وقوميته ، فيتمسك بها كما يتمسك المتنازع بالحياة .

هذا العربي الغريب ، يتمنى أن لايمحي تراث امته الخالد من قلوب بنيه وألسنتهم ، فهمُ ، مثله ، ابناء الأمة العربية الخالدة .

فرض علينا تجاه عروبتنا ،وعربيتنا، وأمتنا العريقة في المجد ، والحضارة ، وشؤون الأدب ، عريقـة وان رماها بعض الاجانب الغافلين او المتغافلين بما هي منه بريئة وهم به أحق .

نسأل الله ان يوفقنا لمتابعة سيرنا في طريق قويم ، رسمناه لأنفسنا ونحن عليه سائرون ، والله من وراء القصد .

أيها الاخوة

باسم ندوة الادب العربي التي حملني اعضاؤها ، اخواني ، شرف تمثيلها هذه الليلة ، وتقديم حفلتها ، ارحب اجمل الترحيب بأصحاب السيادة ممثلي بلادنا العربية الحبيبة الكبرى ، وبالسيدات والسادة الحاضرين ، واشكر لهم جميعاً تلطفهم بمشاركتنا بالاحتفال بهذا العيد ، عيد الادب العربي في الارجنتين .

ونحن ، وان لم نعتبره خاصا بالندوة ملكا لها ، الا اننا نشعر بأن حضور من حضر ، قد قلد جيد الندوة قلادة تختال بها وتباهي .

وأخشى ان انا شكرت سيادة القائم بأعمال مكتب جامعة الدول العربية الذي يأوينا سقفه ، وهو من فتح للندوة قلبه وذراعيه ، قبل ان يفتح لها باب المكتب على مصراعيه ، وايد متطوعا امسيتنا هذه قولاً وعملا ، ان يخدش شكري الصادق ، من حيث لا أدري ولاأريد ، شعوره النبيل وحسه المرهف بيد اني ، لااقالك الاحجام عن تقديم الثناء الجميل للأستاذ ابراهيم عبد الله ، وهو الذي لم يكن يوما الا اخاً للجالية مخلصا كريما ، واديباً حقاً يتقن صناعة الادب الجيد ، وعاملا يعرف كيف تُقاد الوظيفة فتعلو مكانتها ويسمو شأنها .

ايها الاخوة

هذه هي امسيتنا الادبية ، نقيمها الليلة والفخر يملؤنا اذ نقيمها في هذه الدار . فهذه الدار دارنا ، وكل دار عربية دارنا .

معرض الكتاب الدولي الثامن عشر

اشتركت جامعة الدول العربية في معرض الكتاب الدولي الثامن عشر الذي اقيم في فرنكفورت ، فأقامت جناحاً موحداً ضم كتباً مختارة من مطبوعات الدول العربية كافة . كما اشترك في المعرض ٤٠ دولة اجنبية كان الجناح العربي في المدخل الرئيسي للمعرض ، عرض فيه ٣٣٣ كتاب : منها مجموعة مجلة المعرفة و٨١ كتابا صادراً في سورية (٥٢) منها من مطبوعات وزارة الثقافة بدمشق و (٢٠) كتابا من مطبوعات جامعة دمشق . من مطبوعات وزارة الثقافة : المحكم في نقط المصاحف لعثمان الداني ، ديوان بشر بن ابي خازم ، الأزمنة والانواء لابن الاجدابي ، آثار عبد الباسط الصوفي ، برنامج شيوخ الرعيني لابراهيم شبوح ، مجمع الآداب في معجم الالقاب لابن الفوطي ، ديوان ابن مقبل ، يحدثونك من القلب لقدري العمر ، الشرارة الاولى لمراد السباعي ، ربيع في الرماد لزكريا تامر ، معرة النعمان لسليم الجندي ، الحياة العسكرية عند العرب

لاحسان هندي ، البترول عامل وحدة لنقولا سركيس ، الوطن العربي لأنور الرفاعي ، القومية العربية في القرن التاسع عشر لتوفيق برو ، أدب المغتربين لالياس قنصل ، ديوان احمد شاكر الكرمي ، احاديث العشيات لعبد السلام العجيلي ، النسبية من نيوتن الى انشتاين لمارسيل داغر ، الصواريخ والاقمار الصناعية لوجيه السمان ، فن الصحافة لرفيق المقدسي ، المغتربون العرب في امريكة الشمالية لجورج طعمة ، فتحي محمد لسلمان قطاية ، كراكوز مسرح عربي قديم لعادل ابي شنب ، الفنون والصناعات اليدوية في دمشق لمنير كيال

الفولكلور الغنائي عند العرب لتسيب الاختيار . وكان من دلائل نجاح الجناح العربي ، اضطرار مدير المعرض الى زيارة الجناح عدة مرات يومياً يرافقه كبار الزوار والشخصيات التي طلبت منه – على حسد قوله – زيارة الجناح العربي بعد ان سمعت عن نجاحه ودقة تنظيمه ، ووصفه سفير الارجنتين الذي يجيد العربية بأنه « اجمل وانجح جناح شاهده في قاعة الدول الاجنبية » ، كما اشادت بذكره الصحافة والاذاعات العالمية .

من الجدير بالذكر ، ان المعرض اقيم للمرة الاولى في مدينة ليبزغ عام ١٩٠٤ .



النشاط الثقافي في المانية

رسالة فرانكفورت لعبد الرحيم وطفي

— فلسفة —

نفدت في الشهر الماضي الـ ٣٥ الف نسخة من كتاب الفيلسوف الالماني كارل ياسبرز (٨٣ سنة) « الى اين تسير المانيا الاتحادية ؟ » ، وبدىء بتسليم ١٥ الف نسخة اخرى. ان كارل ياسبرز هو اكثر الفلاسفة الالمان نجاحاً في هذا القرن . ويليه الفيلسوف مارتن هايدغر (٧٦ سنة) ، فقد بيع من اهم آثاره «الوجود والزمن» ٤٠ الف نسخة ، منذ صدوره في عام ١٩٢٧ .

٢٠ الف نسخة من كتاب ارنولد غلن « الانسان » منذ عام ١٩٤٠

١٥ الف نسخة من كتاب ماكس شلر « الشكلية في علم الاخلاق » منذ عام ١٩١٣

٧٥٠٠ نسخة من كتاب ادموند هوسرل «ابحاث منطقية» منذ عام ١٩٠٠

٧٥٠٠ نسخة من كتاب نيكولاي هارتمان « خصائص ميتافيزيك الادراك» منذ عام ١٩٢١ .

ما من فيلسوف يتفوق على ياسبرز سوى ياسبرز نفسه . فقد طبع ٨٦ الف نسخة من الجزء الاول من كتابه الذي لم يتم والذي بدأ صدوره في عام ١٩٥٧ « الفلاسفة العظام » .

ولم تصل طبعاً باقي أعمال ياسبرز هذه الارقام القياسية . فقد انحصرت آثاره الفلسفية المحضة في الحدود المعروفة لمهنة الفكر .

١٤ الف نسخة من كتابه « فلسفة » منذ عام ١٩٣٢

١٠ آلاف نسخة من كتابه « من الحقيقة » منذ عام ١٩٤٧ .

في الواقع ان تأثير ياسبرز على الفلسفة اقل بكثير من تأثيره على الجمهور .

كما يثبت بحث الفيلسوف فرنز شنايدر ، أنه لايوجد في الجامعات الالمانية مايسمى بـ « مدرسة ياسبرز » حتى ان شنايدر يخشى ان يظل التفكير الياسبرزي ، على الدوام ، بدون تأثير ، وتبعاً لذلك بلا اهمية .

وعلى العكس من ذلك فان تلاميذ زميله مارتن هايدغر يتلكون ١٠٪ من كراسي الاستذة في جامعات المانيا الاتحادية ، التي تبلغ ١٠٠ كرسي . وهم يشكلون واحدة من اقوى الفئات بين المفكرين الالمان .

وكذلك أثرت فلسفة هايدغر خارج حدود المانيا .. في فرنسا وإيطالية وإسبانيا وأمريكا الجنوبية واليابان .

ان ياسبرز فخور بعدم وجود تلاميذ له . وهو يرى ان لا حق للفيلسوف بالمطالبة بخلف . وان الفلسفة ليست حتمية ، ولا كلية كالعلم . وعليها فحسب .. ان تذكّر وتقل وتدعو .

ان ياسبرز لايؤمن بأن الفلاسفة يتلكون ناصية الحقيقة . وهو يرى ان ليس للتفكير الفلسفي اية نتائج ثابتة في اشكال المعرفة .

من الواضح ان هذا الرأي يناقض دعوته الوجودية . اذ انه غالباً مايتخذ في آرائه مواقف معينة

كما فعل مؤخراً في كتابه « الى اين تسير المانيا الاتحادية ؟ » حيث يحلل فيــه التاريخ والسياسة الالمانيــة تحليلا ثابتاً .

ان الغرض من هذه الملابسات — عند ياسبرز — أن تهز وأن تخدم « كشف الوجود » الانساني . عليها ان تساعد البشر في ادراك كينونة ذواتهم .

ولا يستطيع ياسبرز التنبؤ بما يؤدي اليه « كشف الوجود » هذا في الحالات الخاصة .

وكذلك يرى ياسبرز انه ليس من مهمة الفيلسوف استنتاج احكام ثابتة . ان دعوته تظل شكلية .

ان الناقد هاينريش فريز يقول ان ياسبرز لم يقدم سوى « مجرد بحث » و « مجرد قلق » لم يتوصلا سوى الى « عدم القدرة على الحكم » .

في عام ١٩٣١ اعلن ياسبرز نفسه : « ان كشف الوجود لا يقود الى ايــة نتيجة ، لأنه يظل بلا هدف » .

— تاريخ —

مستقبل الغرب

صدر في المانيا هذا الشهر كتاب « تجربة الحضارة الغربية الحالية » للمؤرخ الانكليزي ارنولد توينبي (٧٦)، الذي يعتبر واحداً من اهم مؤرخي هذا العصر. انه اينشتــاين التاريخ . ما من مؤرخ استطاع ان يراقب عصره بحياد وموضوعية كما فعل توينبي ، وما من مؤرخ يفوقه اطلاعاً على الحضارات السابقة . انه يصفها كما لو انه عاشها .

في وصف موجز رائع لعالم الحضارة الهلينية في عام ٢٢٥ قبل الميلاد ، يستنتج توينبي توازياً مع الحضارة الغربية في القرن التاسع عشر . وهو يوازي عام ١٢٥ قبل الميلاد بحاضرنا الخاص . ومن ثم يتابع هذا العرض ، التوازي حتى عام ٤٧٥ بعد الميلاد ، الفترة التي تقابل حسب رأي توينبي عام ٢٣٠٠ في الحضارة الحالية . حوالي عام ٤٧٥ بعد الميلاد سقطت — بسبب الحروب والثورات —

الحضارة الهلينية ، التي كانت تبدو في عام ٢٢٥ قبل الميلاد وكأنها ابدية . ونشأت بعدها حضارات جديدة ، لم تكن نابعة من الإغريقية ، وكانت الاديان هي التي حددتها .

ان التاريخ يعيد نفسه . هكذا يحذر توينبي . ان ماحدث للحضارة الهلينية ، هو احد الطرق التي يقف امامها الغرب اليوم . لكن الحضارة الغربية ، كما يقول توينبي ، حضارة فريدة من نوعها في بعض النواحي . لقد كانت هذه الحضارة في منتصف القرن السابع عشر واحدة بين كثير من الحضارات المنافسة لكنها غزت العالم اذ ربطت العلم بالصناعة .

وكان اهم اصطدام للحضارة الغربية ، هو اصطدامها مع الصين ، التي كانت قد عاشت ثلاثة الاف عام مقتنعة بانها الحضارة الوحيدة في العالم ، ولم تعتبر الحضارة الغربية نفسها حضارة متميزة سوى منذ ٣٠٠ عام .

أن اهم جملة في كتاب توينبي هي قوله : « ان ثمة شعوراً لدي ، بأن عالمنا الغربي في القرن العشرين سيكون مضطراً لدفع ثمن الخطايا التي اقترفها عالم الغرب في القرن التاسع عشر بحق الصين ، مع الفائدة وفائدة الفائدة » .

لقد أتت نقطة التحول في عام ١٩٤٩ اذ فجر الروس اول قنبلة ذرية . ولأول مرة منذ ٣٠٠ عام ظهرت قوة جديدة امام الغرب تملك قوة سلاح معادلة . لقد بدا الى هذا الوقت ان التطور الغربي انما يسير في نفس اتجاه تطور العالم الهليني في الفترة الموازية . لكن ثمة فارقاً في ناحية هامة : ان الشعوب التي تحررت من الاستعمار الغربي (يقابلها في الحضارة الهلينية الشعوب التي ثارت ضد توسع الاغريق) قد اخذت بسرور أنماط الحياة الغربية . انها تسمي ذلك « عصرياً » ، لكن هذه التسمية ليست سوى تحوير حذر لما هو «غربي» .

ان توينبي يكتب : « ان الرجال اللاغربيين ، الذين انتصروا على الغرب

بنفس سلاحه ، قد امتلكتهم طريقة الحياة الغربية فكرياً » ان ماتلبستهمهذه الطريقة لم يكن الديموقراطية ولا العلم، وانما كان العدالة الاجتماعية . ولم يجلب الغرب المثل الاعلى للعدالة الاجتماعية فحسب ، بل كذلك الوسيلة المادية لتحقيق هذه المثل .

يقول توينبي ان تحرير المرأة والعامل والفلاح سيتجلى في الثلاثة مائةعام القادمة بشكل اكثر تألقاً .ولهذا السبب سوف تنال الحضارة الغربية بجدارة بركات العالم القادم .

هل ستسقطر تماماًعن ذلك هذه الحضارة كما سقطت يوماً الحضارة الهيلينية ؟

ان توينبي يدعو الى انشاء دولة عالمية ، للحيلولة دون الفناء الذري . وهو يقول ان ثمة دولاً عالمية قد نشأت في الماضي في ظروف مماثلة .. في الصين وفي روما . لكن على الدولة العالمية الجديدة ان تكون اكثر شمولاً .. ان تجمع فعلاً العالم بأسره .

وكذلك يبدو لتوينبي ضرورةوجود دين عالمي جديد . وهو يرى ان ليس للاديان الحالية فعالية كافية ، وكذلك الشيوعية ، وهو يرى انه يؤمل خيراً اكثر من البوذية والهندوسية ، ويختم كتابه بأمله ان ينشأ دين جديد نابع من المسيحية والبوذية والهندوسية معاً .

انه يقول ان « علينا اما ان نتواجد مع الانتحار الجماعي،واما أن نتعلم ، أن نحيا سويةلأسرة واحدة » وهذا ولاشك يتطلب الغاء جميع الحواجز الحالية بين مختلف الأجناس والأمم والأديان والايديولوجيات .

— معرض —

اقيم مؤخراًمعرض الكتاب الدولي الثامن عشر في فرانكفورت [1] وهو اكبر معرض كتب اقيم في العالم حتى الآن . اشتركت فيه ٥٢ دولة . بلغت مساحة قاعاته الاربع ٢٩ الف متر مربع . عرض فيه ١٨٠ الف الف كتاب ، ثلثها من منشورات عامي

(١) في زاوية (مع الاحداث العالمية) في هذا العدد ثمة عن المعرض .

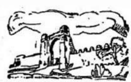
١٩٦٥ و ١٩٦٦ . بلغ عدد دور النشر التي مثلت فيه ٢٥٠٠ داراً ، منها ٨١٨ من المانيا الاتحادية .

من المعلوم حسب احصاء نشر في عام ١٩٦٤ ، أن ٧٢٪ من مجموع الشعب الالماني يقتنون كتباً ، وان كل اسرة تقتني وسطياً ٤٩ كتاباً ، وان عشرة ملايين مواطن يشتري كل منهم كتاباً واحداً على الاقل كل ثلاثة اشهر .

في العام الماضي اصدرت المطابع الالمانية ٢٧ الف كتاب جديد ، انفقت دور النشر من اجل الدعاية لها مبلغ (٨٠) مليون مارك .

رغماً عن هذا ، فقد ملئت الصفحات الثقافية في الصحف اليومية والاسبوعية الهامة بمقالات نقدية ، عن عدم اهتمام المواطن الالماني بالقراءة والكتب . وذلك لدى مقارنته بالمواطن الامريكي والهولندي مثلاً، حيث بيع في عام ١٩٦٢ في الولايات المتحدة معدل سبع كتب لكل فرد من مجموع الشعب ، وحيث ان ٨٩ بالمائة من الشعب الهولندي يقتنون كتباً ، بمعدل ٨٥ كتاباً لكل اسرة ، وحيث صدر في العام الماضي في هولندا (عدد سكانها ١٢ مليوناً) ١٠ آلاف كتاب جديد .

سمعت مشاهداً المانياً يقول لزميله : « ان الخط العربي يبدو لي جميلاً . لاشك ان آثاراً رائعة قد كتبت بهذا الخط يوماً سلف » . قلت في نفسي : «يوماً سلف» .



رسالة تنشد

من المرحومة هبة الوادي الى طفلها

كل ام مثلي ، فتحت ابواب الطفولة الرائعة،على الكواكب والمجرات وعينها الكاشفة البصيرة تغلبت على الجبال ، ثم وقفت وجهاً لوجه ازاء اسرار البشر الروحية .

وانت خليق بأن تنيل لساني بعض الجـــواب عن تلك الاسئلة الملحاحة ، المتجمدة في اعماق نفسي .

هل تختلف ايضاً عن اطفال الارض، وفقاً لمنطق امك ؟

هل ستحدث في عالمك عواصف مدمرة، وتقع الاحداث العالمية في جيلك خارج جو القشرة الارضية ، ثم تتكلم عن الاقمار والصواريخ ومن ابعاد الفضاء ؟

هل انت مظهر ارتقاء البشر في السلسلة المتصلة التي احكمتها يـــد داروين تلك المقولة المخيفة التي جعلت منك انساناً ، ابسط المخلوقات تركيباً، واشدها تعقيداً؟

ام انك جئت من روح الفلاسفة ، من ماهيتهم الزئبقية ؟

او لعلك ظاهرة عن جملة نفوس ، تتوالى الواحدة تلو الأخرى ؟

ام هل انت ذرة من الذرات الصغيرة ، ذات الكم الديناميكي وفقاً لمنطق امك ايضاً ؟

كالكهف السحري انت ، تحولني بقبضة يدك الطرية ، فأغدو اهتزازات لاتنتهي ، وحينا المس روحك اجدها حرة لم يصل إليها التاريخ بعد ، كأنها تغسلها الشمس والدفء ، خالية من السوء والفوضى ، من الافكار الفاسدة المكتسبة ، فأجد لديك ميناء رحباً لقوارب الحياة الملونة .

وها انا مأخوذة بروعة السذاجة ، بالسهولة التي تبدع بها الافكار العميقة برشاقة اسلوبك في الحياة .

ولكني لا اريدك ارتباطاً بين دائرة مجيئك في الوجود ، وعالم الارواح السابقة ، اني لأؤمن بأن التشابه الظاهري بين الناس لا يصل الى الجوهر ، لذلك انتظر الكثير منك في النحو الذي ستعيشه حتى وإن كان على خطأ ، اني لأؤمن بأنك واحد من سلم الكائنات الحية ، من الانسان ذي الروح المطلقة ذي الخلايا العديدة ، فماذا ما اردت أن تأخذ شيئاً من العالم الخارجي تلقفه ليستحيل الى طبيعتك ، بأن تتمثله ثم تهضمه من جديد ، وبمثل هذا الموقف سوف تنتصر على الحياة الجامدة الصرفة ولكن هل ستفقد روح الطفولة يوماً ؟

أواه اذن على الخسارات الفادحة ، على الصور والاخيلة والابداع القوي عندما ستكون ظاهرة الرجولة خطيرة على محياك ، مستقلة عن عالم الوحي المنزل محاطة بعناصر الحضارة القديمة والحديثة معا ، ونوافذ العالم حينئذ لاتسمح لك بنفوذ شيء من جوهر العبقرية الاصلية لان الانسان باطفلي هو الشعور بالعجز ومايتاوه من جبن وخور . وانت باثواب البراءة تمثل الانتصار دائماً تم توحي بالتخلص من الصعوبات بكل جرأة وجسارة .

ان مايغزو الرجولة هو غير مايميز روحك الطفلة ، انت قوة حصينة تتحكم بنفسك في بيتك في اللانهائي ، فأين الرجل الكبير منك ؟

اني لأنحني لسماحتك ، لبراءتك التي هي سحر مصفى ، بل قوة خفية خارقة .

انت تنمو في بطء كالترانيم الدينية ، كالاغاني الروحية ، يتوفر فيك مايتوفر في اطفال الارض من ملكات ، وقد اختارتك الحياة لساناً من ألسنتها التي تعبر كل حين عن الفطرة التي لم تتسرب اليها رتابة الايام بعد ، وبساطتك تنفذ الى قلبي فتأخذ علي انبهاري ثم انسى ازاءك فروسية الجنود ، بل انسى شاعرية الطبيعة ، واجدني صدى فياضاً من الوجد كأنما اصبحت جزءاً من براءتك وابتكارك .

انت تهبني البلور الناصع في نفسك ، وقلبي حنين ، يشيع في شعوراً مشبوبا يبارك احلامك واحلامي .

هل انت ذلك الرمز السامي للحنين الأعلى الذي أعانيه كل يوم ، ومايقال بأنك الروح العلوية التي تترع الكون حقاً وخيراً وجمالا ؟

كيف تسجل طريقتك في الحياة ، في غذائك ، في لعبك ، في تعثرات ألفاظك الجديدة ؟ وحينا اشترط فيك الوحدة المنطقية ، تزيل منطقي بحركة واحدة ، وتمحو بسهولة ما اكتنز عندي من مكتسبات ، وانت تفعل ذلك دون احتياج الى البراهين ، فأنت الأحكم ابداً .

وكثيرا ما احاول ان انقل اليك طريقتي وقد امتلأت غرورا بهذا القدر الضئيل من المعرفة الحياتية التي حصلت عليها ، وانت تلقي الي بعفوية رائعة القاء ايجابياً قاطعاً ، بأن تكون صلتي بك مطبوعة بهذا الطابع : سمة الشك إذ ذلك لانك تلجأ الى خيالك الطفولي الناصع ، ولأني الجأ الى ذهني ، الى ما اتصوره منطقي ، وهناك المأساة بين الاسطورة والبحث ، بين الارهاف والتنظيم ، بين ماتصوره اجنحة الطفولة بطفراتها المتصاعدة ، وبين ماتصوره ذهنية ام تتكر عن غير ماقصد اشد الازمات .

كل مايصدر عنك خالد وجميل ، لانه يؤكد المظاهر الروحية ، لانه يشيع البطولة والحب والنور المقدس ، وانا بين يديك شعاع بسيط يتنزل من اعلى فيربط قلبي مع رباط العالم ، ويوحي لي بأروع فقرات عمري ، انا طفلتك الخالدة ،لانك تملي علي وأنا أشعر احياناً بالتماثل ما بيني وبين الشخصيات التاريخية العظيمة ، وانا اليوم استطيع ان اتبين الآفاق الواسعة حينا افتح مقلتي على مشهدك على ذراعي .

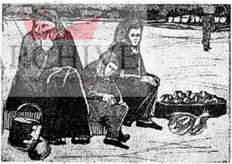
وأن أجد مقارنات شعرية مابين اروع القصائد وبينك ، مابين تكرار التاريخ ووجودك ، فاراك اقرب وادق من كل ما اكتشفه البشر من اثر خطير .

كم من حضارة عظيمة ازدهرت ثم هوت ،يساندها القانون والشرائع ،ولكن طفلا واحداً يقدم لامه منهجاً جديداً ، عميقاً كل العمق ،هو آخر ماتقدمه كل ام في حياتها . انه منطق الامومة .



- معرض مراكز الفنون التشكيلية في سورية
- وفنان عربي يرحل . . .

تقديم غازي الخالدي



(على قارعة الطريق)
لصافيناز صيداوي
ـــ دمشق

معرض مراكز الفنون التشكيلية في سورية :

اللاذقية « للمركز الثقافي العربي »

ان اقامة معرض عام لجميع طلبة مراكز الفنون التشكيلية في سورية مرة في كل سنة ، وفي كل مرة يختلف مكان المعرض من محافظة إلى اخرى ، ظاهرة هامة جداً في تاريخ الحركة الفنية رغم أن الأنظار لم تتوجه اليها ولم تعط الصحافة هذه الظاهرة حقها بشكل عادل ،

ولا يجوز ابداً حتى في مناقشة الاعمال المعروضة التقليل من أهمية هذا المعرض الجماعي .

وبرأيي ان أهمية هذا المعرض تأتي من نتائجه الأوليـــة التي بدأنا نلاحظها مقارنين هذا المعرض الثالث مع المعرضين السابقين له اللذين اقيما لطلبة المراكز ويمكن تحديد اهميـة هذا المعرض بالنقاط التالية :

١ ـ التنافس الشريف بين المراكز : يحاول كل رئيس مركز ان يرتفع باسم مركزه امام المراكز الاخرى فيزداد حماسه ونشاطه ودأبه المستمر على العمل وحثه لطلابه والإهابة بهم ان يكونوا افضل مركز فني في سورية .

٢ ـ تزداد رغبة الطالب بالتفوق من ناحيتين : اولاً بالتفوق على زملائه بالمركز ثم الرغبة في التفوق على زملائه بالمراكز الاخرى لينتقل من مجـال المحافظة الى مجال الجمهورية .

٣ ـ ان الجوائز والمكافآت التشجيعية التي تمنح للفائزين في هذه المعارض لها أثر كبير في نفوس الفائزين ممـــا يجعلهم يشعرون بأهمية المسؤولية التي حملوها نتيجة هذا التقدير الرسمي من الدولة ، وبالتـالي يجعل اهلهم وذويهم يقدرون أهمية العمل الفني ويدركون ان العمل المتواصل الذي كان يشغل اوقات فراغ ابنائهم لم يذهب سدى . بل على العكس فقد يزداد الأهــل رعاية لابنائهم الموهوبين ومساعدتهم للوصول الى آفاق جديدة لهم .

٤ ـ ان هذه المعارض في المحافظات تؤدي دوراً ايجابياً كبيراً في رفـع المستوى الفني عند أهل المحافظة بشكل عام ـ خاصة وان الحركة الفنية متركزة بشكل خاص في العاصمة ـ اذ تتـاح لابناء المحافظات فرصة المشاركة في الحركة الفنية بشكل مباشر .

٥ ـ ومن ناحيـة اخرى فان هذه المعارض تجعل الراغبين بالانتساب الى المراكز يتسابقون اليها لتعلم أصول الفن فيها .

ان مجموعة هذه الملاحظات تؤكد حقيقة هامة وهي ان المراكز بدأت تضع اللبنة الفنية الاولى لجيل فتي مقبل لا بد ان يلعب دوره الهام في تاريخ الحركة الفنية في سورية في وقت قريب . ومن خلال التجارب لاحظنا ان اكثر الذين ينتسبون الى هذه المراكز ينقلون بعدها الى كلية الفنون وهذا مكسب كبير بالفعل للفن والبلاد

كل هذا لا يمنع ان نكون صريحين مع اخواننا المسؤولين عن هذه المراكز ، ونناقش الاعمال المعروضة على اساس المقارنة التي يفرضها جو المعرض الشامل للمراكز الخمسة . وبشكل عام بالنسبة لجميع المراكز لا تزال عملية الرسم بالقلم الرصاص ضعيفة . وان الرسم بالقلم الرصاص يتضمن مفهوم التشريح وعلاقة الاشكال ببعضها وتوزيع الوحدات في الصورة ودراسة الكتلة دراسة كاملة ودراسة الظلال . إن هذا مع الاسف غير متوفر في جميع المراكز وقد سبق وقلت ذلك في [المعرفة] واوضحت ان الطلبة متشوقون دائماً الى الالوان لذلك تراهم يملون من قلم الرصاص والفحم ويتهالكون على الالوان قبل ان يتقنوا رسم الاصابع او المكعب او التفاحة .

● مركز دمشق :

لا تأخذ بشك بالامكانيات المتوفرة لهذا المركز من ناحيتي التعليم ووفرة المعدات بين ايدي الطلاب . وهذا امر يجب ان يحسب له حساب ، خاصة عند المقارنة مع المراكز الاخرى .

ففي فن الحفر استطاع طلاب مركز دمشق ان يحتلوا المكان الاول بالفعل بالنسبة لجميع المراكز ، خاصة الطلاب : وليد عزة ، امين الدرخي ، حنان كيلاني ، صافيناز صيداوي ، مأمون حمصي . اما بالنسبة للنحت فقد كان تفوقه اكثر مما كنت اتوقع له بالفعل .. لا بالنسبة للمراكز فحسب بل بالنسبة للاعمال النحتية التي كانت تقدم في معارضنا الرسمية منذ سنتين مضتا لا اكثر .

ولعل اعمال الطالبين : اسمت كيال ومحمد سبانو من افضل ما قدم من نحت في المعرض .

● **مركز حمص :**

لا يمكن مناقشة اعمال هذا المركز الآن فلم تكن له ادارة منظمة في المرة الاخيرة ولم يكن التوجيه دقيقاً ومنهجياً تماماً ... وربما سيكون له جولة اخرى في المعرض القادم ، رغم ثقتي التامة باساتذته ، فهم من الفنانين الاصلاء الذين يتمتعون بحس جيد ، ولكن لا يشترط في كل فنان أصيل ان يكون مدرساً موفقاً ! فتدريس الفن شيء وممارسة العمل الفني شيء آخر .

● **مركز حماه :**

لقد تعمدت عدم التحدث عن التصوير في مركز دمشق لأنني متأكد من ان مركز حماه هو المركز الاول في التصوير ، في فهم طبيعة هذه الخامة ، ومدى مرونتها وحساسيتها .. إن اللمسة التصويرية على القماش تختلف عن اللمسة الزخرفية المدرسية المنمقة الظاهرة في اعمال عدد غير قليل من طلاب حماه . كما انه يبدو من اعمال طلاب التصوير في حماه انهم متمكنون من الرسم قبل ان يصلوا الى الالوان الزيتية كأعمال الطلاب : اديب عتال ، حسن قطرميز ، سهام منصور ، نجوى الشيخ خالد . وفي فن الحفر ايضاً قدم مركز حماه اعمالاً جيدة بالفعل رغم ضعف امكانيات ذلك المركز التكنيكية وقلة الاجهزة والمعدات عنده . والاعمال الجيدة هي لضحى كيلاني ونجوى الشيخ خالد .

● **مركز حلب :**

ليس لهذا المركز هوية معينة ، بمعنى ان طريقة التدريس غير منظمة واسلوب التعليم غير واضح في اذهان الطلاب ، وربما يعود ذلك الى كثرة الاساتذة وشدة اختلافهم حول مفاهيم الفن الكثيرة ، ورغم هذه الفوضى الفنية نجد اسماً هاماً برز اكثر من مرة في معارض الدولة الرسمية هو الطفل الموهوب صلاح الدين



(باب جنين)
لعبد المجيد صفو
ـ حلب

خالدي . فهو الآن يعيش تجربة الفن الاشتراكي الواقعي بقوة وعنف وبألوان بسيطة وذات مدلول حسي واعي . أما الطالب محمد بصمهجي فنعتبره بلاشك امكانية جيدة واضحة ويبدو انه يتميز بطابع خاص به ... لكنه قد يعتمد أحياناً على النقل من صور ملونة مطبوعة وهذا عيب كبير ، فالفنـــان الموهوب لاحاجة به الى النقل عن صـور ليست من ابداعه .

● مركز اللاذقية :

مايزال هذا المركز ناشئاً وتجربته في تعليم الفن ماتزال في مرحلتها الاولى ... وجميع النتائج التي قدمت الى المعرض أقل من مستوى المعرض بشكل عام ... وكان من المفروض ان يعتذر المركز عن الاشتراك في هذه الدورة ليقف متفوقاً في كل شيء في المعرض القادم .

ورغم كل هذا نجد امكانية تبشر بخير كثير عند الطالب غالب ابراهيم خاصة في لوحته الفلاح .

أما النحت في هذا المركز فهو متأخر بشكل واضح عن مركز دمشق رغم فوزه بالجائزة الاولى بالنحت . اذ ان توزيع الجوائز والطريقة التي تتبع في توزيعها لاتعني إطلاقاً ان الجـــائزة هي التقيم الحقيقي للعمل الفني .

تحية الى روح رمسيس يونان :

من المؤسف حقاً ان نخسر في شهر واحد اثنين من كبار الفنانين في العالم ، واحد تحدثت عنه صحف العالم اجمع وواحد تتحدث عنه صحف الوطن العربي اجمع !

الاول والت ديزني ، والثاني رمسيس يونان !

اما رمسيس يونان فهو استاذ من اساتذة النقد التشكيلي في الوطن العربي ومرجع ثقة في كل مايكتب حول الفن وقد اتجه في اسلوبه نحو التجريد (السيريالي) الذي كان يضمنه فلسفة خاصة عرفت بالمقارنة بين الاحياء اللامرئية في الطبيعة بالعين المجردة وبين التجريد كمفهوم نظري بحت وبين التجريد كمفهوم تشكيلي ايضاً .

وقد كتب عدة مؤلفات حول الفن وترجم عدة مراجع هامة للمكتبة العربية ونال جائزة التفرغ من الدولة في القاهرة عام ١٩٦٠ وتوفي في الشهر الماضي في القاهرة . . ومقاله الأخير عن بيكاسو لما يصل الى ايدي القراء ! توفي عن ٥٧ عاماً من النضال الفني والفكري المتواصل .

تحية اليك يارمسيس . . تحية من اعماق القلب ! لقد خسرناك في الوقت الذي بدأنا نتلمس طريقك في النقد التشكيلي ! وفي تقييم العمل الفني الصحيح !



(فلاح) لغالب ابراهيم

— اللاذقية

تحري النشاط الفولكلوري في البلاد العربية وخدمة هذا الفولكلور

تحقيق عبد القادر عياش

يقوم الاستاذ عبد القادر عياش عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في سورية، بتحقيق عن الفنون والتقاليد الشعبية العربية، ويسر مجلة (المعرفة) أن تنشر الاسئلة التي وجهها الى الجهات والاشخاص المهتمين بهذه القضية، مع الاجابة التي تلقاها من جامعة الدول العربية.

١ - هل للفلكلور العربي اهمية للعرب ولغيرهم وما هي؟

٢ - ما هي الكتب الفلكلورية العربية الحديثة التي طالعتموها وما رأيكم فيها؟

٣ - هل لكم مؤلفات او بحوث فولكلورية مطبوعة وما هي؟

٤ - هل لكم مؤلفات او بحوث مخطوطة وما هي؟ وما سبب عدم طبعها؟

٥ - ماهي الموضوعات الفولكلورية التي وددتم لو كتبتموها؟

٦ - ما هي البحوث الفولكلورية

التي ترغبون بان يعرض لهـا الفولكلوريون ؟

٧ - ما هي بنظركم وسائل وسبل ابراز الفولكلور العربي ؟

٨ - ما مـدى مساهمة الصحافة العربية بنشر وخدمة الفولكلور العربي ؟

٩ - ما مـدى مساهمة وزارات الثقافة في البلدان العربية بنشر وخدمة الفولكلور العربي ؟

١٠ - ما رأيكم بتأليف جمعية عربية للفولكلور العربي او مجمع فولكلوري عربي اسوة بمجامع اللغة العربية ؟

١١ - ما رأيكم بانعقاد مؤتمر للفولكلور العربي في احدى الحواضر العربية تتبناه الجامعة العربية اسوة بالمؤتمرات التي تدعو اليها ، يدعى اليه ويشترك فيه كل من يهتم بالفولكلور العربي يكون من اعماله تنظيم معرض للكتب الفولكلورية العربية والاجنبية التي عرضت للفولكلور العربي ؟

١٢ - الا ترون حاجة الى طبع فهرس يحتوي على تعريف بالكتب والمقالات الفولكلورية العربية واسماء مؤلفيها وكتابها وعناوينهم ؟

١٣ - من هم الكتاب المعنيون بالفولكلور في بلدكم مع عناوينهم ؟

اجابة جامعة الدول العربية

السيد الاستاذ عبد القادر عياش

عضو لجنة الفنون الشعبية في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بسورية دمشق .

تحية طيبة وبعد فبالاشارة الى خطاب سيادتكم الخاص بتحري النشـاط الفولكلوري في البلاد العربية والمتضمن طائفة من الاسئلة تتصل بهذا الموضوع . تتشرف ادارة الشؤون الاجتماعية والعمل بجامعة الدول العربية (شعبة الموسيقى) بأن تبعث مع هذا الخطاب الاجابة عن هذه الاسئلة المطلوب الرد عليها :

اجابة السؤال رقم ١ وهو : (هل للفولكلور العربي اهمية للعرب ولغيرهم وماهي) ؟

ان الامة العربية بحكم وضعها التاريخي وموقعها الجغرافي ذات تراث شعبي تليد متصل الحلقات ، كونته البيئة المادية وصاغته البيئة الاجتماعية وهو – كتراث كل امة – خلاصة المعارف والمشاعر والتجارب الشعبية التي تنتقل من كل جيل الى الجيل الذي بعده . ولذلك فان للفولكلور العربي اهمية قصوى للعرب ولغير العرب لأنه المرآة الصادقة التي تعكس عليها عقلية المجتمع العربي فيما يبدو من مأثوراته وآدابه وموسيقاه وفنونه الشعبية عامة تلك الفنون التي تكشف دراستها عن القيم الانسانية العليا، وتبرز ماتمتاز به من اصالة قومية . ومن هنا جاءت ضرورة الاهتمام بمادة الفولكلور العربي والعناية به وبشرحه ودراسته على اساس علمي منهجي وعلى مستوى البلاد العربية جميعها .

اجابة الاسئلة رقم ٢ و٣ و٤ وهي : (ماهي الكتب الفولكلورية العربية الحديثة التي طالعتموها ومارأيكم فيها) ؟ (هل لكم مؤلفات او بحوث فولكلورية وماهي) ؟ (هل لكم مؤلفات اوبحوث مخطوطة وماهي؟وماسبب عدم طبعها) ؟

لم تأخذ الفنون الشعبية نصيبها من الاهتمام في البلاد العربية بصفة عامة الا بعد ان ارتفع عنها كابوس الاستعمار الذي كان يحاول طمس جميع مقومات تلك الفنون واخفاء معالم امجادها ، ولم تصنف المؤلفات المختلفة في تقييم تلك الفنون الفولكلورية والبحوث التي تكشف عن عظمتها الا بعد قيام الثورات التحررية في تلك البلاد حيث انشئت مجالس عليا للفنون والآداب والعلوم تضم لجاناً متخصصة في الفنون الشعبية . كما انشئت مراكز للفنون الشعبية ووضعت اسس انشاء المعاهد العليا لدراسة هذا اللون من التراث القومي . وفي الوقت نفسه انشئت كراس جامعية لدراسة الفن الشعبي في نواحي الادب والفن . وازداد الاهتمام بهذه الدراسات فأقيمت المسابقات في التأليف والبحث وتشجيع المسح والتسجيل العلمي

لنواحي الفنون الشعبية في مختلف البلاد العربية. ثم نشر عدد غير قليل من هذه البحوث والدراسات التي تكشف عن قيمة هذا التراث الشعبي. لهذا فان غالبية ماصنف من هذه الكتب قد وضع في السنوات الاخيرة.

ويمكن الاشارة الى اهم هذه الكتب فيما يلي :

١ ــ الهلالية في الادب الشعبي للدكتور عبد الحميد يونس

٢ ــ الظاهر بيبرس في الادب الشعبي للدكتور عبد الحميد يونس

٣ ــ الادب الشعبي (جزءان) للأستاذ احمد رشدي صالح.

٤ ــ كتب الفنون الشعبية للاستاذ احمد رشدي صالح

٥ ــ الفولكلور مــا هو ؟ للاستاذ فوزي العنتيل

٦ ــ الف ليلة وليلة للدكتورة سهير القلماوي

٧ ــ الصناعات الشعبية للاستاذ سعد الخادم.

٨ ــ تاريخ الازياء الشعبية للاستاذ سعد الخادم

٩ ــ الفن الشعبي والمعتقــدات السحرية للاستاذ سعد الخادم

١٠ ــ الازياء الشعبية للاستاذ سعد الخادم

١١ ــ معــالم من فنوننا الشعبية للاستاذ سعد الخادم

١٢ ــ الفنون الشعبية في النوبة للاستاذ سعد الخادم

١٣ ــ وحدة العادات والتقاليد بين مصر والشام للاستاذ محمد قنديل البقلي

١٤ ــ اغــاني مصرية للسيدة بهيجة صدقي رشيد

١٥ ــ حركات شعبية قومية للسيدة نفيسة الغمراوي

١٦ ــ الامثال العامية للاستاذ احمد تيمور

١٧ ــ خيال الظل واللعب والتماثيل المصورة للاستاذ احمد تيمور

١٨ ــ الكنايات العــامية للاستاذ احمد تيمور

١٩ — قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية للأستاذ احمد امين.

٢٠ — شريعة الصحراء (عادات وتقاليد) للواء رفعت الجوهري

٢١ — واحة سيوه للواء رفعت الجوهري

٢٢ — الادب الشعبي (محاضرات) للدكتور عبد الحميد يونس

٢٣ — حدائق الامثال العامية للسيدة فائقة حسن راغب

٢٤ — قصصنا الشعبية للدكتور فؤاد حسنين علي

٢٥ — صور من ادبنا الشعبي للاستاذ محمد قنديل البقلي

٢٦ — الموسيقى في الامثال العامية للدكتور محمود احمد الحفني

٢٧ — تراثنا الموسيقي (القسم التاريخي) للدكتور محمود احمد الحفني

٢٨ — تبسيط دراسة الموسيقى (طائفة من الاغاني الشعبية) للدكتور محمود احمد الحفني

إجابة السؤالين رقم ٥ و٦ وهما : (ماهي الموضوعات الفولكلورية التي وددتم لو كتبتموها ؟) (ماهي البحوث الفولكلورية التي ترغبون بان يعرض لها الفولكلوريون العرب ؟)

١ — دراسة الفولكلور الموسيقي الغنائي في البلاد العربية

٢ — دراسة مقارنة لموسيقى الآلات الشعبية في البلاد العربية

٣ — دراسات عن العادات والتقاليد الخاصة بمختلف المناسبات

٤ — دراسة عن تاريخ و«تكنيك» الموسيقى الشعبية مع جمع نماذج من الاغاني الشعبية

٥ — دراسات عن القصص الشعبي

٦ — نماذج ودراسة للأساطير الشعبية

٧ — دراسة إيتنوغرافية للفنون التشكيلية

٨ — دراسة عن قالب الموال وما يمثله في البلاد العربية .

٩ – دراسة عن الملاحم الشعبية في البلاد العربية .

اجابة السؤال رقم ٧ وهو : (ماهي بنظركم وسائل وسبل ابراز الفولكلور العربي ؟)

وسائل ابراز الفولكلور العربي :

١ – انشاء مراكز للفنون الشعبية في مختلف البلاد العربية وتزويدها بالباحثين المتخصصين والاجهزة اللازمة لجمع وتسجيل ودراسة المأثورات الشعبية ، على ان تتبادل هذه المراكز فيما بينها المتخصصين الباحثين والدراسات والنتائج .

٢ – ادخال مواد الفولكلور بمختلف فروعها في المعاهد والكليات الفنية كمادة دراسية اجبارية

٣ – العمل على نشر الفولكلور العربي في كتب واسطوانات وتسجيلات وافلام سينمائية والعناية به في الاذاعات والتلفزيون وجميع وسائل الاعلام

٤ – العمل على انشاء فرق للفنون الشعبية تقدم عروضها على اساس الفولكلور العربي وبطريقة علمية مدروسة على يد متخصصين

اجابة السؤال رقم ٨ وهو : (ماهي مساهمة الصحافة العربية بنشر وخدمة الفولكلور العربي ؟)

اهتمت الجمهورية العربية المتحدة بالفنون الفولكلورية في الصحافة فاصدرت مجلة دورية متخصصة في «الفنون الشعبية» عامة . وقد صدر من هذه المجلة ثلاثة اعداد وهي بسبيل اصدار عددها الرابع . وتتلخص رسالة هذه المجلة في جمع وعرض وتحليل ودراسة الفولكلور على اختلاف صوره وتأصيل المفاهيم الخاصة به وخلق الجو المناسب لتخصص مجموعة من الدارسين الشبان في هذا الميدان . يعتمدون على دراسة واعية اساسها الواقعية الشعبية من مسموع ومرئي .

هذا بالاضافة الى اهتمام مختلف المجلات والصحف اليومية بالتعريف بالفولكلور وموضوعاته ودراساته وبحوثه .

اجابة هذا السؤال رقم ٩ وهو : (ماهي مساهمة وزارات الثقافة في البلدان العربية بخدمة ونشر الفولكلور العربي ؟)

تساهم وزارة الثقافة في كثير من البلاد العربية مساهمة فعالة في ميدان احياء الفنون الشعبية . ففي الجمهورية العربية المتحدة مركز للفنون الشعبية ولجنة للفنون الشعبية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم ، وفرقتان للفنون الشعبية ومجلة للفنون الشعبية وسلسلة كتب تصدر عن الدار المصرية للتأليف والترجمة التابعة للوزارة وثلاثة برامج اذاعيـــة في المذياع وبرنامج في التلفزيون .

في الكويت أنشىء مركز مماثل للفنون الشعبيـة . وفي العراق تصدر وزارة الثقافة سلسلة من الكتب تعالج البحوث الفولكلورية . وفي الشمال الافريقي ظهرت مجموعة كبـيرة من الدراسات الفولكلورية في كل من الجزائر وتونس والمغرب . . الخ

اجابـــة السؤال رقم ١٠ وهو : (مارأيكم بتأليف جمعية عربية للفولكلور العربي او مجمع فولكلوري عربي اسوة بمجامع اللغة العربية ؟)

لاشك ان هذه الفكرة سوف تجد ترحيباً من المهتمين بالدراسات الفولكلورية في العالم العربي . ولقد كان أحد أهداف مجلة الفنون الشعبية التي تصدر في الجمهورية العربية المتحدة تكوين جمعية اصدقاء الفولكلور العربي رغبة في جمع الدارسين والباحثين العرب للعمل في اطار موحد وتبادل الفكر في هذا الميدان وتعميق اسس الدراسة والاتفاق على المنهج الذي يهدف الى حماية التراث الشعبي وحفظه من الضياع ونشر الوعي للاهتمام به .

اجابة السؤال رقم ١١ وهو : (مارأيكم بانعقاد مؤتمر للفولكلور العربي في احدى الحواضر العربية تتبناه الجامعة العربية اسوة بالمؤتمرات التي تدعو اليها ، يدعى اليه ويشترك فيه كل من يهتم بالفولكلور العربي ، يكون من اعماله تنظيم معرض للكتب الفولكلورية العربية والاجنبية التي عرضت للفولكلور العربي ؟)

اعتقد ان الأمانة العامة للجامعة لم تغفل هذه الناحية بل هي تعنى فعلا بعقد

مثل هذه المؤتمرات الفلكلورية في مختلف البلاد العربية .

اجابة السؤال رقم ١٢ وهو : (ألا ترون حاجة الى طبع فهرس يحتوي على تعريف بالكتب والمقالات الفولكلورية العربية واسماء مؤلفيها وكتابها وعناوينهم ؟)

لا شك ان الحاجة ماسة الى طبع فهرس يحتوي على تعريف شامل بالكتب والمقالات الفولكلورية العربية واسماء مؤلفيها وكتابها وتيسير الاتصال بهم . وفي ذلك تجميع للجهود وتوحيد للعمل .

اجابة السؤال رقم ١٣ وهو : (من هم الكتاب المعنيون بالفولكلور في بلدكم مع عناوينهم ؟)

لقد اوردنا في الصفحتين الاولى والثانية اسماء الكثيرين من المعنيين بالبحوث الفولكلورية وما اصدروه فيها من المصنفات والكتب . وأخص هنا الاشارة الى اعضاء لجنة الفنون الشعبية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية وهم :

الاستاذ محمد فريد (مقرر اللجنة)

الدكتورة سهير القلماوي (استاذة بجامعة القاهرة)

الدكتور عبد العزيز الأهواني (استاذ بجامعة القاهرة)

الدكتور عبد الحميد يونس (استاذ بجامعة القاهرة)

الاستاذ علي الديب (مدير عام الفنون الجميلة بوزارة الثقافة)

السيدة نفيسة الغمراوي (عميدة معهد التربية الرياضية)

الاستاذ سعد الخادم (كلية الفنون التطبيقية)

الاستاذ احمد رامي (مستشار الاذاعة المصرية)

الدكتور محمود احمد الحفني (خبير شؤون الموسيقى بجامعة الدول العربية)

وأما العاملون في مركز الفنون الشعبية بالقاهرة فهم :

الاستاذ سمير نجيب (رئيس قسم ابحاث الموسيقى الشعبية)

الاستاذ صفوت كمال (رئيس قسم الادب الشعبي)

الاستاذ عدلي محمد ابراهيم (باحث بمركز الفنون الشعبية)

الاستاذ فوزي الفتيل (باحث بمركز الفنون الشعبية وموظف بالمجلس الاعلى للفنون والآداب)

الاستاذ احمد علي مرسي (باحث بمركز الفنون الشعبية ومعيد بكلية الآداب بجامعة القاهرة) .



كتب عربية واجنبية

قرارات الأمم المتحدة حول فلسطين ١٩٤٧ — ١٩٦٥

جمع مدير (مؤسسة الدراسات الفلسطينية) في بيروت سامي هداوي قرارات الامم المتحدة حول قضية فلسطين في كتاب UNITED NATIONS RESOLUTIONS ON PALESTINE 1947 - 1965 ، وهو الكتاب الثاني الذي تصدره المؤسسة ، ويقع في ١٥٧ صفحة باللغة الانكليزية . ويتساز بشموله قرارات الجمعية العامة ، والمجلس الاقتصادي والاجتماعي ، ولجنة الوصاية ، ومجلس الامن . فبعد نشر لائحة الامم المتحدة والاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ينشر القرارات التي اتخذتها حول قضية فلسطين الجمعية العامة والمجلسان واللجنة المذكورة من ١٩٤٧ — ١٩٦٥ . ويختم الكتاب بخريطة تقسيم فلسطين وخريطة القدس ، وقائمة بتقارير وجداول اعمال لجنة التوفيق الدولية ، وقائمة بتقارير وكالة اغاثة اللاجئين الفلسطينيين ، ومشروع مدينة القدس الذي اقرته لجنة الوصاية في جلستها الحادية والثانين المنعقدة في ٤ نيسان ١٩٥٠ .

فلسطين أمام الأمم المتحدة (وثائق سنة ١٩٦٥)

الكتاب الرابع الذي اصدرته مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت كان باللغة

الانكليزية وهو Palestine before the united nations ويقع في ٣٠٠ صفحة . جمع فيه مدير المؤسسة سامي هداوي الوثائق التي توفرت له عن قضية فلسطين في الأمم المتحدة خلال سنة ١٩٦٥ بحكم عمله في مكتب جامعة الدول العربية لدى الامم المتحدة .

وقد مهد له بمقدمة عن فلسطين في عهد الانتداب (١٩٢٠ — ١٩٤٨) ؛ وعن مشروع تقسيم فلسطين (١٩٤٧) ؛ وعن الاحتلال العسكري الاسرائيلي لها (١٩٤٩)؛ وعن جهود الامم المتحدة لحل القضية .

ويفتتح الكتاب بالخطاب الذي ألقاه الدكتور جورج طعمة مندوب سورية الدائم في الامم المتحدة في افتتاح الدورة العشرين للجمعية العامة في ١٣ تشرين الاول ١٩٦٥. ثم ينشر وثائق اللجنة السياسية الخاصة ، ووثائق ختام الدورة العشرين للجمعية العامة، ووثائق لجنة التوفيق الدولية ، والشكاوى العربية والاسرائيلية المقدمة لمجلس الأمن .

الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥

الكتاب الخامس الذي اصدرته (مؤسسة الدراسات الفلسطينية) في بيروت هو (الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٥) ويقع في ٦٠٧ صفحة . جمع الدكتور منذر فائق عنتباوي في هذا الكتاب البيانات والمنشورات والتشريعات الرسمية (او اجزاء منها) الصادرة في عام ١٩٦٥ عن السلطات الرسمية العربية أو المسؤولين العرب ، وكذلك تلك الصادرة عن المنظمات والهيئات الفلسطينية والعربية — السياسية منها وغير السياسية — أو عن المسؤولين فيها كلما اتصلت تلك البيانات والمنشورات والتشريعات (او اجزاء منها) بقضية فلسطين او ببعض جوانبها . كما تضم المجموعة البيانات الرسمية المدونة في الجريدة الرسمية لقطاع غزة وكذلك التشريعات الصادرة في ذلك القطاع مما له صلة مباشرة او غير مباشرة بتنظيم الشعب الفلسطيني لغايات التحرير أو ما كان متصلاً منها بالاوضاع الدستورية والادارية والاقتصادية للقطاع باعتباره جزءاً من ارض فلسطين تديره إدارة خاصة بمعاونة مجلس تشريعي فلسطيني ، ونظراً لأن بجميع سكانه من ابناء فلسطين ، اعتمد في جميع هذه الوثائق ما أمكن العثور عليه منها في الصحف العربية في البلد الذي صدرت فيه اولاً ، كما اعتمد في نشرها نفس النص الذي نشرت فيه بما احتوته بعض فقرات منها من غموض ، مع الاشارة الى ورودها كذلك ، كما جرى تصحيح ما استدعت الضرورة تصحيحه لغوياً في حدود الكلمة الواحدة وبما لاينتقص من المعنى الواضح في الجملة المعنية. كما أعدت الوثائق طبقاً للتسلسل الزمني لتاريخ صدورها وليس لتاريخ نشرها الا في الحالات التي لم يعرف لصدورها تاريخ واضح .

النساجون

أصدرت وزارة الثقافة في سلسلة (أدب/مسرح) كتاب (النساجون) في

١٨٠ صفحة ، وهو مسرحية في خمسة فصول للكاتب الالماني جيرهارت هاوبتمن Gerhart Hauptmann (١٨٦٢-١٩٤٦) ترجمها محمد جديد – انجاز باللغة الألمانيـة – ومهد لها بتقدمة عن المؤلف وعن المسرحية التي تناول فيها الكاتب بالتحليل ثورة النساجين التي شبت في عدد من القرى الألمانية في سيليزية سنة ١٨٤٤ . وكان من اسباب هذه الثورة الانخفاض الشديد في أجور عمال النسيج اليدوي إذ لم يكن ثمة قوانين تفرض على أرباب العمل حداً أدنى للأجور فكان في وسع هؤلاء أن يذهبوا في استغلالهم للعمال الى ابعد الحدود . وكان مما زاد أحوال النساجين سوءاً انتشار صناعة النسيج الآلي التي أدت الى استغناء أرباب العمل عن كثير من العمال ولجوء روسيا القيصرية الى فرض الضرائب الجمركية المرتفعة على النسيج الألماني المستورد ، ولم تزل أحوال النساجين تنتقل من سيء الى أسوأ حتى بلغت نقطة الانفجار سنة ١٨٤٤ ، فثار النساجون في تلك القرى القائمة على أطراف جبال أويلنه، وكانت ثورة محدودة تفتقر الى التنظيم والقيادة ، فبادرت الحكومة البروسية الى إخمادها بمنتهى القسوة في معركة أسفرت عن أحد عشر قتيلاً وأربعة وعشرين جريحاً ، وتمتاز هذه المسرحية بأنها أول مسرحية في الأدب الألماني تلعب فيها الجماهير دور البطل الذي يصنع الأحداث .

علم النفس الترفيهي

أصدرت (مطبوعات التقدم - Édition du progrès)في موسكو كتاب(علم النفس الترفيهي في ٤٣٠ صفحة.وهو ترجمة الى اللغة الفرنسية لكتاب (زنيمتلناية بسيخو لوغية) للنفساني السوفيتي (ك . ك . بلاتونوف) . ترجمه عن الروسية الباحث السوفيتي (ليون بياتغورسكي) . ويبحث هذا الكتاب في مستقبل المجتمع الشيوعي، وفي تطور الارادة والذاكرة والانتباه ، وكيف يفهم علم النفس الحب والشعور بالواجب،وعما اذا كان يمكن نقل التفكير عن بعد ، وما هو الحلم ، وهل تتمتع الكلاب والنمل بالشعور . وغير ذلك من القضايا التي يعالجها الكتاب. وتبين التجارب والروائز التي يتحدث عنها الكتاب ، كيف يمكن تطبيق القوانين النفسية في العمل وفي الحياة اليومية .

أشواق صغيرة

أصدرت اللجنة العليـا لرعاية الفنون والآداب بليبية كتاب(أشواق صغيرة) في ٦٦ صفحة ، وهو يضم ١٥ قطعة وقصيدة للشاعر علي محمد الرقيعي ، وهي المجموعة الفائزة بالجائزة الثانية في الشعر للجنة العليا لعام ١٩٦٥ . ويرى بعض النقاد أن الرقيعي يحمل على عاتقه مسؤولية هذه الاعوام من

عمر تجربته الفنية التي تتسم بالنضج والوضوح ، مسؤولية أن يولد للانسان فجر جديد، وأنه تطور في هذ المجموعة فـال نحو الوضوح والبساطة والشمول بعد ان كان في ديوانه الاول (الحنين الظامىء) رومانتيكيا ، وان أهم مايميز شعر الرقيعي شفافيته وقوة تعبيره وعمقه ، وهذه الميزات تعكس حساسية الشاعر وسرعة تأثره .

ذكرى حبيب

كان مفتي الموصل المرحوم محمد حبيب العبيدي (١٨٨٢ — ١٩٦٣) ، حاول جمع شعره فلم يوفق الا الى بعضه جمعه في ديوان (ذكرى حبيب) ، طبع منه قبل بضع سنين اربعين صفحة . حتى قام مدير معهد المعلمين بالموصل أحمد الفخري باستعراض الديوان المخطوط واكمل نقصه مما وجده من شعر في مؤلفات العبيدي ، وطبع ذلك كله في ديوان (ذكرى حبيب) في ٢٧٠ صفحة مهد له بمقدمة من ٦٤ صفحة فيها نبذة عن الشاعر وشعره . يضم الديوان ١٢٢ قصيدة في أغراض من الغزل والتصوف والتأملات الفلسفية والمديح والهجاء والفخر والرثاء والوصف والوطنية والحكم والامثال .

سفر فؤاد الشايب الى الارجنتين

● غادر دمشق الى بونس ايرس الارجنتين، الاستاذ فؤاد الشايب، للالتحاق بمقر عمله الجديد مديراً لمكتب الجامعة العربية في العاصمة الارجنتينية، كما سبق أن اطلع عليه القراء والاصدقاء في عدد (المعرفة) — ٥٩ — كانون الثاني. ويسر المعرفة ان تسجل فيما يلي عنوان الاستاذ الشايب في بونس ايرس:

مكتب جامعة الدول العربية
بونس ايرس — الجمهورية الارجنتينية —

Officina de la liga de los Estados. Arabes. Calle Libertad 1161
R. ARGENTINA. Buenos-Aires.

● في احتفال رسمي جرى يوم ١٩٦٧/١/٢١، منحت جامعة دمشق المدير العام لمنظمة اليونسكو السيد (رنه ماهو) لقب الدكتوراه الفخرية، تقديراً لجهوده في رفع شأن الثقافة والدفاع عنها ومساعدة المؤسسات الثقافية والعلمية في القطر العربي السوري.

● القى العالم الايطالي بييرو غاماكيو Piero Gamacchio محاضرة باللغة الفرنسية في المتحف الوطني بدمشق، شرح فيها (آثاراً جديدة من التصوير الإتروسكي). عرضت الصور بالفانوس السحري من كتاب أصدرته مؤخراً في الموضوع نفسه (مؤسسة ليريتشي Lerici في رومة). وعرض بعد المحاضرة فلم تسجيلي عن هذه الآثار — التي اكتشفت بالطرق الجيوفيزيائية — للشعب الإتروسكي الذي ورثت الامبراطورية الرومانية حضارته، ويعتقد علماء

التاريخ أنه نزح من آسية الصغرى الى ايطالية .

● أقامت لجنة تضامن شعوب القارات الثلاث معرضاً لصورفوتوغرافية تعبر عن هذا التضامن ، في المركز الثقافي العربي بدمشق .

● أقيمت في المركز الثقافي العربي بدمشق أمسية ادبية اشترك فيها القاص نواف ابو الهيجاء والشاعرة آمال الزهاوي والشاعر علي كنعان .

● اقيمت في المركز الثقافي السوفييتي بدمشق حفلة عزفت فيها مقطوعات لباخ وهاندل ورامو وكوريلي وموزارت وتشايكوفسكي وشوبرت وباغانيني وكريزلر. عزف هذه المقطوعات على الكمان تلاميذ الخبير السوفييتي كيريل سمنتسوف أوغينسكي في المعهد العربي للموسيقى وهم : مناف شقرا ، همسة الوادي ، نذير حنانا ، ظافر سعيد ، صباح عتمة ، ربيع مصري ، محمد حنانا ، موفق علبي ، سمير خوري ، ابان زركلي ، رياض سكر ، آرا ديرزدجيان . رافقت الكمان بعزف على البيانو السيدة سنثية الوادي الاستاذة في المعهد .

● ألقى الكاتب حسيب كيالي قصة (يوم ونصف) ، في المنتدى الاجتماعي بدمشق . كما قدمت السيدة الفة الإدلبي قصتين في المنتدى نفسه والقى الشاعر محمد الحريري بعض قصائده والقى الدكتور عبد السلام العجيلي محاضرة عن التجريد والتجسيد .

● نظراً لنفاد الطبعة الأولى من كتاب (تاريخ الامير فخر الدين المعني الثاني) للمرحوم عيسى اسكندر المعلوف التي اصدرتها مطبعة الرسالة اللبنانية في جونية لبنان عام ١٩٣٤ ، فقد أعاد الاديب رياض المعلوف — ابن المؤلف — طبع هذا الكتاب ، وأصدرت هذه الطبعة المطبعة الكاثوليكية في بيروت .

● في كانون الاول الماضي احتفلت بلغارية بالعيد ١١٥٠ لميلاد جامعة (كليمنت اوخريدسكي) .

وكان الكاتب البلغاري كليمنت اوخريدسكي المتوفى سنة ٩١٦م ، اشهر تلميذ ورفيق للاخوين السلافيين كيريل وميثودي اللذين اوجدا مع تلاميذهما

ابجدية سلافية وترجما اهم الكتب الدينية الى اللغة السلافية وبذلك رفعا اللغة السلافية العامية الى درجة لغة مكتوبة. ونجحا مع تلاميذهما في تنظيم ممارسة الطقوس الدينية في مورافية بالسلافية، ولكن مورافية عادت سنة ٨٦٤ مقاطعة للالمان، وشن رجال الدين الالمان حرباً على الدعوة السلافية التثقيفية. ولحق كليمنت بمعلمه الى (بانونيا) حيث ادخلت اللغة السلافية الى الكنيسة، ورافق معلميه الى روما حيث منحه البابا لقب الكاهن. ومات كيريل وعاد ميتودي مع تلامذه الى مورافية، حيث مات سنة ٨٨٥ مطارداً، وقيد تلاميذه - وفيهم كليمنت - باغلال حديدية وزجوا في السجن ثم سلموا الى الجنود الالمان الذين ساموهم انواع العذاب وطردوهم خارج البلاد. وصل كليمنت مع بعض رفاقه الى بلغاريا في لحظة دقيقة. كان قد انقضى عشرون عاماً على اعتناق الدولة الدين المسيحي. وعلى أثر عمليات دبلوماسية استطاع الحاكم البلغاري بوريس ان يحصل من بيزنطية على الاستقلال الذاتي الكنسي لبلاده. لكن المناصب الرئيسية في الكنيسة ظلت للبيزنطيين، كما أن الصلوات كانت تمارس باليونانية. وكان بوريس بحاجة الى كنيسة سلافية فتعاون مع كليمنت ورفاقه في وجه المد البيزنطي.

وهكذا لعب كليمنت دوراً هاماً في توطيد أسس الثقافة السلافية رغم الهجمات الالمانية من جهة والبيزنطية من جهة أخرى فاستحق ان يطلق اسمه على الجامعة التي تحمل اليوم اسمه الكبير، ويحتفل الشعب البلغاري بمرور الف ومائة وخمسون سنة على تأسيسها.

● اصدرت مكتبة المثنى في بغداد طبعة ثانية من كتاب (الديارات) لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي المتوفى سنة ٣٨٨ هـ. الموافقة لـ٩٩٨م. حقق المخطوطة اللغوي كوركيس عواد.

● القى مدرس اللغة الألمانية في جامعة دمشق (ديتريش غرونرت) محاضرة موضوعها (غوته في فايمر) في المركز الثقافي لجمهورية المانية الديموقراطية بدمشق. قامت بالترجمة الفورية الآنسة نوال حنبلي.